

الجزء الاول

ما وراء الحدود

حكايتي الروسية

Beyond Borders (1): My Russian Tale

أبوالبشر ابراهيم

ما وراء الحدود "1"

حكايتي الروسية

Beyond Borders 1: My Russian Tale

BY: ABUALBUSHR IBRAHIM (HABIB)

المحتويات :

الفصل الاول

1. المقدمة

الفصل الثاني

2. الانتقال من القرية الى العاصمة

3. بدء رحلة الى ما وراء الحدود

الفصل الثالث

4. انفاسي الأولى في موسكو

5. اليوم الاول في جامعة موسكو الحكومية التقنية

الفصل الرابع

6. استكشاف موسكو بأعين متسحرة

7. زيارة الكرملين والساحة الحمراء

8. نزول الثلج والمفاجأة البيضاء

9. زيارتنا الى متحف الفضاء

10. رحلتنا المائية عبر نهر موسكو

الفصل الخامس

11. موسم شهر رمضان المبارك

12. الشهور الاولى في دراسة الهندسة

الفصل السادس

13. الشروع في رحلة عبر منعطف مجهول

14. رحلتي الاولى في اسيا منطقة جنوب جبال الاورال :

المقدمة

في أحضان يوم هادئ، حيث يلامس ضوء الفجر الذهبي الأرض بلطف، تبدأ حكاية فرد مجتهد يطمح إلى أن يصبح مهندسًا .
ومع ذلك، كما يحدث في كثير من الأحيان، قد تواجه أحلام المرء تقلبات ومنعطفات غير متوقعة.

"ما وراء الحدود" يروي رحلة هذه النفس الحازمة، المليئة بالتحديات والتضحيات في طريق تحقيق حلمه.

في أحد تلك الأيام الهادئة، ينطلق بطل الرواية في رحلة خارج الحدود، حيث ترمز الألوان الذهبية لشروق الشمس إلى الأمل والبدايات الجديدة. لقد كان السعي لأن يصبح مهندسًا بمثابة طموح مدى الحياة، وهو حلم غذى التصميم الذي لا هوادة فيه.

ومع ذلك، فإن الحياة لديها طريقة في طرح تحديات غير متوقعة. تتكشف القصة عندما يواجه بطل الرواية الحقائق القاسية المتمثلة في متابعة التعليم والعمل في أرض أجنبية. تشتد النضالات،

وتختبر حدود قدرته على التحمل والمرونة. ومع ذلك، وسط
النكسات وخيبات الأمل، يظل الحلم ثابتاً.

"ما وراء الحدود" يتعمق في الصعوبات التي لا توصف والتي
واجهتها في السعي الحثيث للمعرفة والنمو المهني. يستكشف
موضوعات المرونة والمثابرة وقدرة الروح الإنسانية على التغلب
على الشدائد.

وبينما تتكشف أحداث السرد، تأخذ رحلة بطل الرواية منعطفات
غير متوقعة، حيث ينتقل في نسيج الحياة المعقد في أرض أجنبية.
تسلط القصة الضوء على جوانب لا تعد ولا تحصى من تجربة
المهاجرين – صرامة القوانين، العطف والتراحم الانساني،
الانتصارات والنكسات ولحظات اليأس والتصميم الذي لا
يتزعزع على المضي قدماً.

العنوان "ما وراء الحدود" يلخص جوهر هذه الرحلة الملهمة. إنه
يدل على تجاوز الحدود المادية والثقافية والعاطفية في السعي
الدؤوب لتحقيق الحلم. ينسج السرد نسيجاً من الأمل والمرونة
والسعي الدؤوب وراء شغف لا يعرف الحدود.

لا يظهر بطل الرواية كمهندس طموح فحسب، بل أيضًا كدليل
على الروح الإنسانية التي لا تقهر. "ما وراء الحدود" هي قصة
انتصار على الشدائد، واحتفال بقدرة الإنسان على التحمل،
والتكيف، والتخليق في نهاية المطاف خارج حدود الظروف.

الفصل الاول

• الانتقال من القرية الى العاصمة

لقد نشأت في قرية صغيرة في غرب السودان وسط اسرة كبيرة مكونة من احد عشر شخصا " ام واب و ثمانية اخوة ", لقد اكملت مرحلة التعليم الابتدائي بذات القرية, وبسبب ادائي الاكاديمي الجيد فقد قرر والدي إرسالني الى العاصمة لدراسة المرحلة الثانوية في مدارس أعلى كفاءة وبيئة مستقرة امنيا من تلك الاقليم التي ولدت وترعرعت فيه.

وقد واصلت نجاحي وتميزي في المدرسة الثانوية التي التحقت بها وتخرجت منها بامتياز حاملا الشهادة الثانوية.

تحديات الحرب في إقليم دارفور في غرب السودان هي واحدة من أكبر الآفات التي أثرت على حياة السكان هناك.

بدأت النزاعات في دارفور منذ العام 2003، وخلف تأثير كبير على السكان والبيئة الاجتماعية واقتصادية وثقافية.

أسفرت الحرب في دارفور على مقتل وتشريد الملايين من السكان، وتسببت في دمار هائل للمجتمع والبنية التحتية. شهدت

الأقليم أعمال عنف طاحنة، تضرر فيها الكثيرون، وخاصة الأبرياء، مما أدى إلى تفكك الأسر وتشريد الكثير من الأفراد.

ففي العاصمة، ابتعدت عن ظلال الحرب التي كانت تحيط بي، وتجنبنا انقطاعات الدراسة والإغلاق المتكرر للمدارس الناجمة عن الحروب. كما ان الفرصة للدراسة في بيئة تعليمية أفضل مع مدرسين ذوي كفاءة أثرت بشكل إيجابي على تطلعاتي ومستوى رغبتني في تحقيق النجاح الشخصي والتعليمي.

• بدء رحلة الى ما وراء الحدود

لقد اكملت المرحلة الثانوية وأثناء وجودي في العاصمة رأيت اعلان لاحدى الوكالات عن فرص الدراسة في الخارج, فقررت الاتصال بصاحب الاعلان, وعند استقبالها للهاتف سألتها عن ماهية الاعلان, فطلبت مني الذهاب الى مكتبها والذي يقع في السوق العربي في الخرطوم.

وعند وصولي الى المكتب التقيت بمندوب الوكالة وكانت تسمى رانيا : القيت السلام فردت علي:

وعليكم السلام, تفضل...

فدخلت وسألتني عن اسمي فاخبرتها الاسم الكامل وقلت لها:

يمكنك ان تدعيني " حبيب "

قالت لي: حسنا يا حبيب اتريد ان تدرس في خارج السودان ؟

قلت لها: حدثني اولا عن الفرص المتاحة وبالاخص روسيا لانني رأيت في الاعلان الخاصة بك مذكورة ثلاثة دول وهي " روسيا , وماليزيا , والهند ".

فأخذت تشرح لي عن كيفية الحصول على القبول الجامعي في روسيا والاجرائات التي يجب علي القيام به قائلة:

يجب ان يكون لديك جواز سفر ساري لمدة لا تقل عن سنة ونصف, وان يكون لديك شهادة الثانوية باللغة الانجليزية او مترجمة الى اللغة الروسية من جامعة الخرطوم قسم الترجمة. وتقوم بتوثقها في وزارة الخارجية ومن ثم في السفارة الروسي.

قلت لها: وكم تبلغ تكلفة هذه الاجرائات؟

قالت: لا يكلفك اكثر من مئتين جنيه سوداني. اي ما يعادل عشرون دولار امريكي انذاك.

قلت لها: حسنا ثم ماذا بعد ذلك ؟

قالت: تقوم بارسال صورة من جواز سفرك وصورة من الشهادة الثانوية الي ودفع مبلغ الاجرائات ثماني الف جنيه سوداني وسنقوم بالحصول على القبول من احد الجامعات الروسية التي نمثلها ويرسل لك الدعوة الدراسية لكي تتحصل علي الفيزا الدراسية ومن ثم نقوم بحجز رحلة لك وسيستقبلكم احد اعضاءنا في روسيا فور وصولكم.

قلت لها: هذا جميل والان اخبرني عن الدراسة في روسيا وعن لغة التدريس, لم اسمع بحياتي شخص يتحدث اللغة الروسية, فقط قرأت القليل عن تاريخ الاتحاد السوفيتي وعن دول الاتحاد السوفيتي بصفة عامة ولاكن لا يوجد لدي ادنى فكرة عن روسيا وعن نمط التعليم فيها, وحتى اختياري لروسيا نابعة من حب صورة نمطية رسمتها في مخيلتي ليس إلا.

فقلت: ان الدراسة سيكون باللغة الروسية, وأن دراستك في السنة الاولى سيكون دراسة مكثفة للغة الروسية فقط.

قلت: حسنا والان؛ أهم نقطة حدثني بمصداقية تامة عن تكلفة الدراسة والمعيشة؟

فقلت لي: ان تكلفة الدراسة بين " 1200 الى 1400 " دولار " والمعيشة والسكن " معا شهريا بين 150 الى 200 دولار هذه في موسكو وسانغبطرسورغ, اما باقي المدن قد تكون اقل من ذلك.

قلت لها: حسنا سوف اتحدث مع والدي واخبرك عن قراره, وخرجت من المكتبة

وعند خروجي من المكتبة التقيت باحد اصدقائي في المرحلة الثانوي ومن ابناء منطقتي يود التقديم للدراسة في روسيا أيضا, فسررت لسماع ذلك, وقلت اذا لدي رفيق اذا توفقتنا.

والان على الحصول على موافقة الوالد بعد اجراء حسابات التكاليف, وبما انه الممول الاساسي والوحيد لي ولاخوتي الثمانية, وكان ستة منهم في المدارس, وان والدي ذو دخل محدود جدا,

فكان احتمال ان يرفض هذه الخطوة كبير جدا, وكدت ان اراجع وانسى الفكرة , لآكن قلت في نفسي ضعني اتحدث اليه في الاول واستمع الى رأيه.

و حين اخبرته كانت الصدمة حين قال لي هذه الجملة : " اذا اضطررنا نبيع منزلنا في سبيل تعليمك يا ابني " هذه الجملة اتذكرها وحتى اتذكر حركات شفاه حين نطقها وقال لي ابدأ بالاجراءات فورا ولا تترك الفرصة تفوتك ,

فعدت الى العاصمة بعد اسبوع من ذلك وذهبت الي مكتب رانيا وقلت لها: ان والدي وافق على ارسالي فوجهني الى مركز استخراج الجوازات ؟ واين يمكنني استخراج الشهادة الثانوية ؟

والتقيت صديقي ايضا وقمنا معا باستخراج جوازات السفر وشهادة الثانوية ثم قمنا بعمل التوثيقات المطلوبة واحضرناه اليها في المكتب ودفعنا لها نصف التكلفة واتفقنا على ان ندفع لها النصف الاخر عند استلام الدعوات الدراسية, وبدأت في اجراءات التقديم. لقد قمنا بالتقديم في وقت مبكر وقالت لنا رانيا ان نتائج القبول سوف تصل بعد شهر من التقديم, فقلت لا بأس ننتظر.

وفي هذه الفترة كنت امارس عملي في الصباح فقد كنت اعمل في مجال البناء لكي اوفر على نفسي مصروف اثناء انتظار القبول الجامعي وفي المساء امضي ساعات في تعلم اللغة الروسية من بعض القنوات على " اليوتيوب " فتعلمت بعد الجمل الافتتاحية وكيف أقدم نفسي باللغة الروسية وحفظت أحرف الهجاء الروسي قراءةً وكتابةً وبعض العبارات , وان كانت النطق غير صحيحة وايضا كنت اعمل على ابحاث مكثفة حول روسيا وعن موسكو بصفة خاصة لانني تقدمت على جامعة في موسكو .

فكنت متشوق جدا الي يوم ذهابي فكانت ذلك من احد اطول شهور السنة في حياتي وكأن اليوم فيه اسبوع او اكثر, وكل يوم يزداد

تهيئي واشتياقي ليوم الذهاب لان ذلك هي رحلتي الاولى الى ما وراء الحدود.

وعند انتهاء الشهر لم انتظر ان تتصل بي رانيا من مكتبها لافادتي, فقد ذهبت مبكرا الى مكتبها فوجدت صديقي قد سبقني بالذهاب وعند رايتي له في المكتب, ادركت بانني ليس الوحيد متشوقا لهذه الرحلة بل كل الذين تقدمو,

لاكن في ذلك اليوم فاجئنا رانيا بقولها ان الدعوات لم تصل بعد. فقلت لها ومتى تصل؟الم تقول بعد شهر من التقديم, وها قد مضى شهر كاملا ؟

فقالت : غالبا في هذا الاسبوع, وان التأخير فقط ان البريد لم يصل بعد.

فعدنا في خيبة كبيرة ذلك اليوم. و كل يوم بعدها اتصل بها او ارسلها كانت تقول لي لا لم اتلقى اتصال من البريد.....

انها اصعب لحظات كانت تمر علي وشعرت ان في الامر علة وانني لم اسجل في اي جامعة في السودان بسبب اعتمادي التام على قولها بان القبول مضمون والدعوات تصل بعد شهر من لحظة التقديم , مرت اسبوعان بعد الشهر و في كل يوم ازداد قلق, وفي

يوم من الايام وبينما كنت على تلك الحال اذ تلقيت رسالة من رانيا تقول لي فيها :

حبيب, جمعة مباركة, والى مبارك كل الدعوات الان وصلت, فى الواقع دعوتك ودعوة صديقك وصلت من الاسبوع الماضى لآكن فى شباب آخرون آابىنكم تسافرو مع بعض فكنت منتظر دعواتهم الدراسية تصل وتدخلو السفارة للحصول على الفيز مع بعض.

كانت هذه من آجمل الرسائل التى تلقيتها فى تلك الفترة آزالت عني القلق والتوتر الذى كان يعترينى وبث فىنى شعور بالرضا والآمل, فآقمت بالرد فى رسالة قائلا: سآذهب الى مكتبك الان لكى آرى دعوتى الدراسية.

ردت قائلا: هل نسيت اليوم الجمعة؟ والمكتب لا يفتح فى الجمعة لآكن ضعني ارسل لك صورة لها عبر الواتساب.

فقلت هيا ارسلنى ماذا تنتظرين بعد كل هذه الفترة . فارسلت لى صورة وعلى الرغم اننى لم آفهم محتواها كاملا غير اسمى وآسم الجامعة, الا اننى قضيت جل اليوم انظر الى الحروف المرسومة فيها محاولآ قرائتها و فهمها.

وفي اليوم التالي استدعتنا رانيا الى مكتبها لاستلام الدعوات الدراسية والاتفاق على تحديد يوم لادخال الجوازات للسفارة الروسية بغرض الحصول على الفيزا وتحديد موعد السفر.

فاتفقنا على ان نبدا مباشرة في نفس الاسبوع وان اصدار الفيزا بحاجة الى اسبوع من لحظة تقديم الطلب,

وكانت السفارة تعمل فقط يومين في الاسبوع " الاثنين والاربع " فقمنا بدفع النصف الاخر من المبلغ المتفق عليه وادخلنا وقدمنا بطلب الى السفارة للحصول على الفيزا وعدت في زيارة وداع الى اسرتي في قريتنا في غرب السودان,

فاقيمت مناسبة صغيرة شكرا لله وليبارك مسعاي فيما بعد وحضروا الاهل والجيران والعديد من اساتذتي في المرحلة الابتدائية والاصدقاء يتمنون لي التوفيق في خطوتي القادمة.

مكثت ثلاث ايام مع اسرتي واتى اليوم الذي اقول لهم وداعا والشروع في هذه الرحلة الطويلة المجهولة العواقب, وامتزجت دموع الفرح ودموع الوداع وسافرت عائدا الى العاصمة.

تحصلت على الفيزا, وقد تم الحجز لرحلتنا من الخرطوم الى موسكو عبر الخطوط الجوية القطرية,

وقد كنا خمس طلاب ذابھون الى نفس الجامعة " جامعة موسكو الحكومية التقنية " الاربعة كنا سودانيون والفتى الخامس كان من جمهورية العراق , وبما ان الرحلة كانت في اواخر شهر اكتوبر اخبرنا احد اعضاء الوكالة المتواجدون في موسكو بان نأخذ معنا ملابس دافئة ثلاثم الجو الشتوي.

فاخذت ملابس شتوية وكنت احمّل بالطو ثقيل حتي كنت أخشي ان ارتديه في الخرطوم لان الجو لم يكن بارد لذلك الحد فكنت احمّله على يدي وارتديت بوت شتوي طويل مع بنطال جنسي ثقيل وقميص سوفي حتي كنت اشعر بالسخانة خارج المطار.

وبينما كنا نتسلى خارج الصالة مع رفاقي, فاذا بالساعة الحادية عشر ليلا تدق واذا بأحلى النغمات ترن من فوقنا ثم بعدها اعذب الحروف واروع الجمل تنطق على المايكرفون وهي:

" تعلن الخطوط الجوية القطرية عن قيام رحلتها الرحلة رقم 1324 والمتجهة الى الدوحة, فعلى الركاب التوجه مباشرة إلى البوابة رقم....."

هذه اللحظة شعور لا يوصف كانت لحظات مثيرة جدا, قطعنا الحوار واتجهنا الي البوابة..... حيث اجرائات الوزن والاجرائات

الامنية الاخرى فوزنت امتعتي وعبرت النقطة التي لا يسمح العودة منها وكنت في انتظار لحظة الصعود, ووجدت معي القليل من العملة السودانية في محفظتي نسيت استبدالها, فاشتريت بها كيس تمر وعلم السودان من داخل المطار وبقيت معي نقدا مبلغ 50 جنية احتفظت به في محفظتي.

وقبيل موعد الصعود أحسست بعبء ثقيل يضغط على كاهلي، لم أكن واثقا ما إذا كان خوفا أم فرحا ينتظرني في المستقبل. فاخرجت مصحفي المُخبأ داخل شنطتي الصغيرة. وبدأت أقرأ بعضاً من القرآن، لأثبت نفسي ولأبعد ذلك الشعور الثقيل الذي كان يُكبلي. وإذا بصوت رنان داخل تلك الصالة تقول:

" تعلن الخطوط الجوية القطرية عن موعد إقلاع رحلتها رقم 1324 المتجه الى الدوحة على السادة المسافرين على متن هذه الرحلة سرعة التوجه الى بوابة الخروج رقم 3 استعدادا للصعود الى الطائرة ..شكراً "

فادخلت مصحفي والعلم الذي اشتريته في شنطتي وحملت الشنطة وبالطو علي يدي وتوجهت الي البوابة رقم 3

وحيثما خرجنا من البوابة سرعان ما اتى بص بالقرب من البوابة حيث كنا نقف وصعدنا الى البص الذي اخذنا الى الطائرة.

صعدت الى الطائرة وبحثت عن رقم مقعدي الذي كان بالقرب من النافذة وشعور الفرحة يغمرني ليس من صعود الطائرة لانني سافرت مرتين بالطائرة قبل ذلك, من الفاشر الى الخرطوم. ولاكن متشوقا الى ما اراه من عوالم اخر في هذه المرة كما ان هناك فرق في حجم وجودة الطائرة القطرية بشكل كبير مما ادخل في نفسي شعور وكأنني في عالم الافلام السينمائية وليس حقيقة.

بعد جلوسنا بدقائق قليلة بدأت الطائرة بالتحرك ببطء لفترة من الزمن, كانت متجهة الى بداية المدرج, ثم استدارت الي الجانب الاخر ببطء و توقفت للحظة.

بعدها سمعنا نداء بصوت غير واضح وكانها صوت الراديو الاذاعي, لم افهم شيء من ذلك المقال وكانهم لا يريدوننا ان نفهم ما يقولون, كان تنبيه من طاقم القيادة. وبعد ذلك قاموا باطفاء الانوار من داخل مقصورة الركاب, واذا بصوت قوي يدوي حتى شعرنا بالاهتزاز خليلا ثم بداءت الطائرة بالجري بصورة يجعل منك تتدفع الى الورا وكأن هناك قوة خفية تشدنا الى الورا نحو المقعد , ثم بعد لحظات بدات الطائرة في الارتفاع شيئا فشيئا و اعيد تشغيل

الانوار الداخلية, واخذت انظر نظرات وداع للخرطوم من الاعلى
عبر نافذة الطائرة, كانت الساعة الثانية منتصف الليل , يا له من
جمال لم يراه عيني من قبل

وبعد مضي ساعة تقريبا فاذا بالمضيفات قدمن الينا بعربة محملة
بالاكلات واذا باحدى المضيفات تقول لي جملة ما ظلت اتذكرها
فكانت تقولها بصورة غريبة لاكنني استطعت فهما كانت العبارة
بالانجليزي

"Hello Sir, Would you prefer the chicken or the
beef dish?"

وتعني : " مرحبا سيدي, هل تفضل الطبق الذي يحتوي على الدجاج
ام اللحم البقري "

فقلت لها: " chicken please "

" اي دجاج من فضلك "

فاحضرت لي طبق دجاج ثم ومشروب غازي وماء

وهذه اللحظة اظهرت لي الفائدة من دراستي لكورسات اللغة
الانجليزية في الفترات الماضية وبداية لاستخدام اللغة الانجليزية

مع اصحابها, وعلمت بان الامر جدي وانا في رحلة الى ما وراء الحدود,

وبعد مضي قرابة ثلاثة ساعة ونصف من الاقلاع بدأت صافرات تنبيه ترن ومن بعدها نداء بربط احزمة الامان فعلمت باننا قد وصلنا الى الدوحة. عاصمة الجمال والفخامة فربط حزامي واخذت انظر من نافذة الطائرة "رأيت جمال الدوحة، أعتقدت أنني دخلت إلى عالم ساحر حيث يلتقي الحداثة بالتقاليد بشكل رائع. كانت المناظر العلوية للمدينة ساحرة بمبانيها الحديثة الفاخرة التي تلمع تحت أشعة شمس البكور، مع الأفق المحاط بالبحر الذي يضيف منظرا ساحرا عليها.

كانت لحظة شروق الشمس قرابة الساعة السادسة صباحا وحبطت بنا الطائرة في مطار حمد الدولي بالدوحة ثم توجهنا من الطائرة الى صالة الانتظار فكان المطار جنة الله في ارضه والذي يتميز بتصميمه الحديث والفاخر، حيث يلبي كل توقعات المسافرين. المرافق الواسعة والتجهيزات المتطورة تخلق أجواءً من الراحة والفخامة. الأضواء اللطيفة والتصميم الأنيق يضفيان لمسة من الأناقة على هذا المرفق الذي يرحب بالزوار بكرم وترحيب.

فعلمت ان في هذا الكون ما هو اكبر واجمل في انتظار الاكتشاف ولطالما بدأت رحلتي نحو العالم فكل شيء متوقع , واخذت اتجول برفقة رفاقي الاربع داخل المطار ولاكني كنت حريص جدا على موعد الرحلة الثانية وهي من الدوحة الي موسكو روسيا والتي تبدأ بعد مضي ثلاثة ساعات من فترة وصولنا الى الدوحة

وقبل الرحلة بساعة قلت لاصحابي ضعنا نجد موقع البوابة الخاصة برحلتنا ونكون بالقرب منها لان هذا المطار واسع جدا خوفا من ان تفوتنا الرحلة الثانية ولم نجد بوابة الخروج المطلوب, فذهبنا الي قرب بوابة معاملتنا وجلسنا في صالة امام البوابة, وقمت بتوصيل هاتفي للشحن.

بقينا منتظرين الا ان سمعنا نداء برقم رحلتنا الثانية و ان علي الركاب التوجه نحو بوابة الخروج للصعود الى الطائرة فاخذت هاتفي وتوجهنا نحو البوابة فهناك واخذت عدة صور تذكارية من ذلك المطار

كنت اظن ان نفس الطائرة التي اتينا بها من الخرطوم مع نفس المسافرين سنكمل رحلتنا معا لاكن عندما صعدت كانت الطائرة مختلفة تماما, وانها اكبر حجما بكثير من الطائرة التي اتينا بها

وتغيرت المعالم والاشخاص تغيرو, وبدلا من تلك الوجوه كلها المألوفة لدي اي وجوه سودانية, وجدت المسافرين هذه المرة اشخاص كنت اراهم فقط خلف الشاشات. اشخاص وجوههم بيض شديد البياض واحجامهم ضخمة و طوال القامة, وكل واحد منهم يحمل جاكيت على يده.

عندها تيقنت اننا الان فعلا متجهون الى عالم غير عالمنا لا احد يتحدث العربية ومقاعدنا صارت متباعدة مع رفاقي بدلا ان كنا بجوار بعض, فبقيت صامتا لآكن بداخلي كان مجموعة من التساؤلات حماس برؤية روسيا وبدأت الطائرة بالجري ثم الاقلاع وكانت الرحلة بلغت حوالي ست ساعات تناولنا فيها وجبة الافطار ومضيونا ولم نحس بالوقت ابدا. لان الطائرة كانت تحمل المعنى الحقيقي لكلمة الفخامة من مقاعد الا الاكلات الشهية بالاضافة الا امام كل مقعد شاشة للمشاهدة والتصفح وعرض معلومات عن الرحلة من الوقت والمسافة المتبقية والموقع اللحظي على الخريطة. فكانت رحلة رائعة جدا وعندما اختربنا من الهبوط لاحظت العديد من الركاب بدؤا في تفقد حقائبهم اليدوية ولا ادري ماذا يجري الا عند الهبوط.

وعندما حبطت الطائرة بالكاد لا اميز الركاب القريبين مني كلهم
ارتدوا بدلات البرد وتغيرت ازيائهم.

فعلمت انه قد ان الاوان لارتداء البالطو التي كنت احمله على يدي
طول الرحلة فارتديته وربط حزامه وكان لدي معطف فلففته على
عنقي ثم نزلنا من الطائرة.

لاكن هذه المرة ليس هناك بص لياخذ الركاب من الطائرة الى صالة
الوصول فاذا بالطائرة وقفت بالقرب من الصالة وهناك ممر مثل
انبوب مجوف يوضع بين مدخل الصالة ومدخل الطائرة حيث الجو
مماثل للجو داخل الطائر والجو داخل الصالة. ولم نتعرض الى
الاحساس بالجو الخارجي بعد.

الفصل الثاني

• انفا سي الأولى في موسكو

بعد نزولنا من الطائرة ومرورنا عبر المعبر المؤدي إلى إجراءات الجمارك وأجهزة الهجرة لتختيم جوازاتنا والحصول على إذن الدخول.

كان هناك استمارة صغيرة نملأها، تحمل بين طياتها بياناتنا الأساسية.

الاسم:.....

تاريخ الميلاد:.....

سبب الزيارة:.....

رقم الرحلة:.....

قمت بملئها وقدمتها إلى الموظفة المسؤولة، وأثناء اطلاعها عليها، قالت كلمة باللغة الروسية. لم أكن أدري معناها آنذاك، فوضحت لي بان اقوم بالتوقيع في الصفحة الثانية فقامت بالتوقيع واعطيتها. فضحكت على توقيعِي ربما لانني اكتب باللغة العربية فتوقيعي يبدو من الاتجاه الايمن الى اليسر, وختمت لي على ورقة الهجرة ،

كانت لحظة تاريخية. وعندها أرض روسيا تستقبلني بأولى
لمساتها، وكنت على أبواب مغامرة لا تُنسى

وبعد تخطينا نقطة التفتيش، كانت الأرض الروسية أماننا، وكأولى
خطواتنا على هذه الأرض الجديدة، بدأنا رحلتنا في استلام الأمتعة.
كانت الحقائب تتداخل على السيور، وكل حقيبة كانت تحمل في
طياتها آمالنا وتطلعاتنا في هذا العالم الجديد.

ثم توجهنا إلى المخرج، حيث كانت البداية الحقيقية لمغامرتنا في
موسكو. مطار "دوموديفو الدولي" رهيبًا بتصاميمه العصرية
والمتطورة، ونشاط وحركة المسافرين فيها كانت تحكي حكاية باننا
دخلنا إلى عالم متقدم فعلاً. ورغم جمال المكان، لم نكن قادرين على
التجول فيه بمتسع من الوقت، فالتحضيرات كانت تنتظرنا، والوقت
كان يمر بسرعة

كانت الساعة تشير إلى السادسة مساءً، وفي المخرج كان ينتظرنا
أحد أعضاء الوكالة، مستعدًا لاستقبالنا والتوجيه بنا الى السكن.

البوابة الدائرية في المخرج كانت تدور بانسيابية، تسمح للخارج بالخروج من جهة والداخل من جهة أخرى مع الحد من دخول الهواء بصورة قوية، وعندما خرجنا إلى الهواء الطلق، كانت الرياح الباردة تلامس وجوهنا بقوة وكان قنابل الماء الثلجية انفجرت فوق رؤوسنا، غير مراعاة ان هذه هي زيارتنا الاولى، فاندلعت ضحكاتنا وسارعنا إلى العودة إلى الداخل من الجانب الآخر للبوابة.

وكأولى دروسنا في الطقس الروسي، تعلمنا أن البرودة هنا لا تُمَرَح معها. بينما كنا نتسابق للعودة إلى الدفء، أصبحنا محط ضحكات المارة، الذين اكتشفوا أننا زوار جدد في هذا العالم المجهول.

ثم أتى إلينا أحد أعضاء الوكالة الذي كان ينتظرنا في الخارج وانطلقنا معه نحو الباص، وبينما كان الجو باردًا في الخارج، وجدنا أنفسنا واقفين في باص دافئ بفضل أنظمة التدفئة المستخدمة فيها وهنا بدأت رحلتنا في موسكو، حيث امتزجت أنفاسي الأولى بالهواء الروسي، وتحولت أحلام الانطلاق إلى حقيقة لا تصدق.

وانطلق بنا الباص فكانت المسافة بعيد جدا وكنا نسير لفترة ساعة تقريبا, فقلت في نفسي الا اين ذاهبون؟ لماذا لم نصل بعد؟.

وبعد توقف الباص في احد المحطات وخرجنا رايت المدينة بجمالها اليلي ولاكن سرعان ما اتجهنا الى احد الانفاق الارضية فكنت ظانا سوف نعبر الطريق الى الجانب الاخر ولاكن هنا كانت المفاجئة الكبرى عندما نزلنا مسافة طويلة تحت الارض عبر مدرجات كهربائية المكان مصمم مثل القصور الملكية وهناك ظهر لنا عالم اخر حيث العالم المتحركة في الاسفل اكثر بكثير من اولئك الذين رأيناهم على ظهر الارض,

كيف لا وهذا هو انفاق المترو موسكو احد اهم واكبر منظومات المواصلات العامة في موسكو بل في العالم, انه عالم من الخيال شبكة ضخمة من القطارات السريعة تتحرك تحت الارض لمدة 20 ساعة في اليوم , و اربع ساعات للمراجعة.

فصعدنا على احد القطارات ومن بعد عدة محطات نزلنا من تلك القطار وذهبنا الى الاسفل مرة اخرى فاذا ب خط اخر فصعدانا قطار اخر وايضا ذهبنا مسافة طويلة جدا حتى ظننت اننا خرجنا من موسكو وذهبنا الى احد المدن المجاورة لاكن في الحقيقة ان

المطار الذي حبطنا عليها خارج المدينة بمسافة ساعة ونصف او يزيد قليلا.

وعند وصولنا لاحد المحطات خرجنا فكنت انظر الى الشعب في الخارج كم حركتهم سريع وكلهم يهرولون وكانهم يلاحقون شيئا ومسرعون في مشيهم.

واتجهنا الا السكن الجامعي, فوجدنا ان هناك نظام حراسة وابواب كهربائية تفتح تلقائي بوضع بطاقة ممغنطة توضع على الماسح والذي يقوم بقراءة بيانات البطاقة ومقارنتها مع صورة لوجه الشخص الداخل ثم يفتح لك البوابة للمرور الى الداخل.

فقلت في نفسي ما هذا؟ هل نحن بالفعل حبطنا على كوكب الارض ام على كوكب اخر. انها مجرد سكن طلاب

عندها تحدث عضو الوكالة الذي استقبلنا مع الحارس. ثم اجرى الحارس مكالمة هاتفية لا ادري باي جهة, ولاكن بعدها اتى الينا الحارس طالبا من كل واحد جواز سفره وصورة من الدعوة الدراسية.

فاعطيناه وقام بأخذ نسخة منها واعادها الينا ثم فتح البوابة لنا فدخلنا الى المصعد وانت معنا احد ادارة السكن ليحدد لنا الغرفة فاخذتنا الى الدور الحادي عشر وفتحت لنا احد الشقق.

ففي الشقة غرفتين وحمام غرفة كبيرة مصممة لثلاثة طلاب وغرفة صغيرة لطالبيين ونحن كنا خمسة فاسكنونا في نفس الشقة.

بعدها طلب منا عضو الوكالة دفع مبلغ 250 دولار رسوم استقبال من المطار فتفاجئنا اليس هذه ضمن خدمات الوكالة ؟

فقال : لا ان دور الوكالة الا ان تحصل على تذكرتك فقط. اما رسوم الاستقبال يدفعه الزائر بعد وصوله, وفي اليوم التالي في ينتظرنا اكمال اجرائات التسجيل في الجامعة وامامنا العديد من الاشياء حتى نكون مستقلين فنحتاج الى دليل لذلك قمنا بدفع المبلغ الذي طلبه وخرج ذاهب الى حيث سكنه.

واحسست بالجوع عندها ولم يكن لدي شيء لتناوله فتذكرت انني اشتريت كيس تمر من السودان ولم اتناوله على طول الرحلة, فتناولت منه وشربت ماء ونمت.

• في جامعة موسكو الحكومية التقنية

بعد ليلة طويلة والمليئة بالتحديات، كانت الشمس قد أشرقت على اليوم الثاني لي في موسكو ثم اتصلت بعضو الوكالة الذي استقبلنا لياخذنا الى الجامعة ويكمل معنا باقي اجراءات التسجيل, فرد بصوت منخفض قائلاً: انا في المحاضرة الان سارسل لك رقم هاتف طالب سوداني هو ايضا في السنة الاولى "اي تحضيري يدرس لغة روسية" وصل قبلكم بشهرين ويعرف الاجراءات الرسمية فاتصل به ليستقبلكم في الجامعة ويكمل معكم.

و عندما اتصلنا به قائلاً: السلام عليكم ايها الاخ , رد وعليك السلام ورحمة الله كيف صباحكم ؟ كيف كان ليلتكم؟ وكأنه يعرفنا.

فاجبت : الحمد لله رب العالمين , والان نحن في السكن الرابع ونريد ان نذهب الى الجامعة لاكمال التسجيل, ولا نعرف مكان الجامعة فقال لي: أذهبو الى نفس محطة المترو التي خرجت منها الامس واستخدموا المترو وعلى بعد خمس محط اخرجو واسئلو اي شخص عن الجامعة يوصفه لكم, لان المسافة قريب بالكاد يرى من محطة المترو , فقلت له كيف نسل؟ و لا احد منا يتحدث الروسية فقال لي : فقط اوقف اي احد من المارة وقل له اسم الجامعة وسيدلك عليها

فقلت له حسنا واغلق الهاتف , تمنيت ان يمر يومنا هذا بسلام
وذهبنا الى محطة المترو تلك, كانت هذه المحطة الاخيرة على
الخط الازرق, مما يعني السير في اتجاه واحد مما جعل الامر اكثر
سهولة, فركبنا القطار العائد ونزلنا في بعد خمس محطات كما قال.

وعندما خرجنا قبل وان نضطر للسؤال رايت الجامعة لانني كنت
ابحث عن الجامعة وعن صور مبانيها والطرق حولها قبل مجيئنا
الى روسيا منذ ايام انتظار الدعوة الدراسية , فتوجهنا اليها وعند
مدخل الجامعة قابلنا شاب سوداني الذي كان معي عبر الهاتف
فاخبر البواب باننا طلاب جدد قدمنا للتو ليس لدينا بطاقات للمرور
ففتح لنا البواب.

دخلت الحرم الجامعي، وكانت المباني تعكس تقدماً تقنياً وهندسياً
يتناسب مع سمعة الجامعة. كان هناك همس في الهواء يحمل
أصوات الطلاب وهم يتنقلون بين الفصول والمكتبات. في هذا الجو
المليء بالحياة، شعرت بأنني في المكان المناسب لتحقيق حلمي
الدراسي.

فتوجهنا الى مكتب شؤون الطلاب الدوليين فاعطو كل منا استمارة
من عدة صفحات كنت اقول كيف لنا ان نقوم بملئها ونحن لا نفهم

ما فيها ولا نجيد كتابة او حتى قراءة اللغة الروسية ولاكن حين اخذت الاستثماره كان الامر اسهل مما توقعت فكل ما علينا هو وضع علامة صح في الاماكن المحددة و التوقيع عليها, فاكملنا ذلك ثم ذهبنا الى محطة تصوير قريبة من الجامعة للحصول على صور فوتوغرافية المطلوبة ارفاقها في الاستثماره التي قمنا بملئها.

بعدها توجهنا الى نقطة صرافة لتبديل العملة التي لدينا من الدولار الى الروبل الروسي ودفع رسوم الدراسة البالغ قدره 90 الف روبل اي الف وخمسمائة دولار, بعدها عدنا مجددا الى الجامعة واذا ببطاقات الدخول اصبح جاهز وتم تسليمه لنا بالاضافة الى بطاقة الطالب والتي يغنيك في التحرك داخل موسكو عن استخدام جواز السفر.

بعض انجاز كل هذه الاجراءات شعرنت بالجوع فذهبنا الى مقهى الجامعة تناولنا طعام دافئ بعدها عاد معنا الى السكن.

بدوره طلب من كل واحد منا ان يدفع له الفين روبل اي ثلاثين دولار. عندها شعرت بان على هذه الكوكبة حتى الاوكسجين ليس مجانا يجب عليك الدفع.

وعند عودتنا السكن في المساء التقينا بمجموعة من الطلاب الاجانب من دول مختلفة الذين يسكنون في نفس السكن من بينهم

كان هنالك طالب يسمى "محمد ناري" و كان في عامه الثالث في روسيا ولديه مجموعة من الاصدقاء الروس وكان يتميز بطيب المعاملة فاتي الينا بطعام الى شقتنا وبعد ان تناولنا الغداء اخذنا الى احد المجمعات التجارية التي تمتاز بانخفاض اسعارها نسبيا فاشترينا بعد الاواني للطبخ مع بعض المواد الغذائية اذكر بعضها " خبز, بيض, بصل, طماطم, ارز, وبعض التوابل وكمية من النودلز"وبعض المستلزمات اليومية.

عدنا الى السكن واخبرنا عن المطابخ المتوفرة فيها فهناك مطبخان على كل دور يفتحان الساعة الرابعة صباحا والى الساعة الحادية عشر ليلا, وقمنا بتحضير وجبة العشاء ونمت للاستعداد لبدء يوم دراسي في اليوم التالي وهي الفصل الاول للغة الروسية.

الفصل الثالث

● استكشاف موسكو بأعين متسحرة

وفي اليوم التالي و في الصباح ذهبنا الى الجامعة برفقة الاخ الناري وتم توزيعنا الى مجموعات مختلفة فكننت في المجموعة رقم 4T و التقيت بزملاء دراسة قادمين من دول مختلفة.

كانت الحظة الاولى لحظة تعارف بيننا وبين المحاضر الانسة " أننا " التي تأخذنا في رحلة مليئة بالدهشة والاستكشاف وسوف تصنع منا متحدثون للغة الروسية وسوف تضع مفاتيح موسكو بل روسيا في ايدينا كيف لا انها اللغة.

كانت الانسة " أننا " روسية ولا تتحدث اي لغة اخرى فقد درست الاداب في اللغة الروسية, ونحن الطلاب كل منا يتحدث لغة مختلفة عن الاخر فمنا من يتحدث اللغة العربية, ومنا من يتحدث اللغة الصينية والبعض اللغة الفيتنامية والبعض اللغة الفرنسية والبعض اللغة البرتغالية والبعض يتحدثون فقط الانجليزية.

فاول شيء قامت " أننا " بتعريف نفسها وبدأت تسال عن اسم كل واحد منا ولغته الام وبعد ان حصلت على هذه المعلومات قامت بتشكيل مقاعدنا بحيث لا تجد اثنين يتحدثون نفس اللغة يجلسون مع

بعض او حتى قريبين من بعض في الصف و بعد ذلك قامت بتوزيع كتاب يسمى " الطريق الى روسيا 1 " هذا يعد احد اقوى سلسلة كتب تم اعدادها بواسطة وزارة التعليم العالي الروسي لغرض اساسيات اللغة الروسية للناطقين بغيرها , ومنذ فترة قريبة قمت بعمل دورة على الانترنت اشرح فيها هذا الكتاب للاخوة العرب الذين يسعون الى تعلم اللغة الروسية سوف

بعد الانتهاء من اليوم الدراسي الاول وقبل العودة الى السك , تم دعوتنا للانضمام إلى جلسة ترحيبية للطلاب الدوليين. كان اللقاء فرصة للتعرف على الهيكل الأكاديمي والتوجيه حول الموارد المتاحة. كما قدم لنا الاجتماع الفرصة للتواصل مع الطلاب الروس وتوسيع دائرة معارفنا.

لقد شعرنا بالتحدي والفرح في هذا اليوم، حيث بدأنا مرحلة جديدة في رحلتنا الدراسية. جامعة موسكو الحكومية التقنية لم تكن مجرد مكان للدراسة، بل كانت بيئة حيوية تعزز الابتكار والتفوق.

• زيارة الكرملين والساحة الحمراء

كانت الدروس مكثفة حيث كنا نجلس لساعات طوال تقريبا خمس ساعة يومية نتدرب فيها على القراءة والكتابة والتحدث والاستماع وبينما نحن كذلك في الاسبوع الاول, الا ذات يوم وبعد انتهاء الدوام قالت لنا الانسة " أننا " غدا كل واحد منكم يأتي باثقل لبس شتوي لديه لاننا سنخرج في رحلة فخذوا احتياطاتكم للبرد, انه اليوم الاول لبدء الانفتاح الى اهم الاماكن السياحية في موسكو, بل في روسيا , وما من سائح يزور روسيا الا وان خصص ساعات او ايام لزيارته . في اليوم التالي اتينا مستعدون لمعرفة هذا المكان ولا اضن احد منا كان منتبها للدرس فان تفكيرنا متى تخلص الدرس لنذهب باتجاه وسط المدينة، وكنا نحمل في قلوبنا حماساً لرؤية المعالم الشهيرة. فخرجنا واستقلينا المترو متجهون هذه المرة اتجاه مختلف لم نسلكة من قبل

ففي المترو، استمتعنا برؤية الأنفاق المزدحمة والقطارات السريعة التي تتسارع بين المحطات. لم يكن هناك وقت للملل، فكل زاوية كانت تكشف لنا جمال وتنوع المدينة. وصلنا إلى محطة " ساحة

الثورة ". وهي إحدى المحطات الأيقونية في موسكو، حيث التقطنا العديد من الصور لتوثيق هذه التجربة الفريدة.

بدأنا جولتنا في ميدان الكرملين، حيث كانت المشهد الأولى ل " الكاتدرائية الباسيلية ". كانت الأبراج الملونة تبرز في سماء موسكو، وكأنها تحكي لنا قصة فنية وتاريخية. استمرينا في المشي لاستكشاف مربع الكرملين بأكمله، حيث امتزجت العمارة القديمة بالتصاميم الحديثة بشكل مذهش.

لم نتجاوز الميدان إلا لنجد أنفسنا في حدائق الكرملين، حيث كانت الأشجار والورود تزين المكان بألوان رائعة. استمتعنا بالهواء النقي وجلسنا للاستراحة بينما نراقب الناس يمرحون ويستمتعون بوقتهم.

من ثم، قررنا زيارة " متحف الدولة التاريخي "، حيث احتفظت القاعات بقطع نادرة وأثرية تروي قصة روسيا عبر العصور. كانت اللوحات والتماثيل تحكي لنا عن تطور هذه الحضارة الرائعة.

لم يكن اليوم كافيًا لاستكشاف كل شيء في موسكو، ولكنه كان بداية رائعة. اتجهنا نحو محطة المترو "أرباتسكايا"، حيث كانت الشوارع حيوية وملينة بالنشاط. كان الموسيقيون والمغنين يملؤون الجو بألحانهم، وكأنهم يرقصون على ايقاع خطوات المارة.

عادت معنا الانسة "أنا" إلى محطة القريبة من الجامعة حتى نتأكد بان كل منا يمكنه العوده الى مسكنه ثم ذهبت, عدنا الى السكن متعبين ومفعمين بالحماس للمزيد من التجارب والمغامرات في هذه المدينة الرائعة.

• نزول الثلج والمفاجأة البيضاء

كانت الأيام في موسكو تمضي بسرعة، وكان الشتاء يقترب بخطوات واثقة. كنا نسمع حديثاً دائماً عن مدى قوة الشتاء في روسيا، وكيف يمكن أن يكون التأقلم معه تحدياً حقيقياً.

وفي يومٍ من الأيام، حينما استيغظت على صوت يتساقط خفيف للغاية على نوافذ الغرف، علمت أن اللحظة المنتظرة قد حانت - هبوط الثلوج.

بينما كنت انظر إلى خارج النافذة، شعرت بالدهشة والسرور لرؤية الأرض تكتسي بطبقة بيضاء من الثلج. كان منظرها ساحراً وكأنها

لوحة فنية رائعة، حيث تغلف الثلوج كل شيء بأمانة وتعزز جمال الطبيعة.

قررت الخروج إلى الخارج للاستمتاع بأولى اللحظات مع الثلج. عندما فتحت الباب، لاحظت الهواء البارد ونقاء الجو، كما اكتشفت أن الثلوج لم تكن خفيفة بل كانت تتساقط بغزارة. كانت كل حبة ثلج تتألق تحت ضوء الشارع، ما يمنح المنظر جمالية خاصة، يا له من صباح.

كانت هذه التجربة هي المرة الأولى التي أعيش فيها تلك اللحظات الساحرة حينما يتغلغل الشتاء في أرض موسكو. استمتعت بلحظات الهدوء والسكون، حيث كانت الثلوج تتساقط برفق، وكأنها تعزف ألحانًا هادئة.

ومع انتهاء تلك اللحظات الرائعة، عدت إلى الداخل لاستعد للذهاب إلى الجامعة وعلمت أن هذا ليس سوى بداية مغامرتنا مع الشتاء الروسي. كنت متحمسا لما يمكن أن تقدمه لنا هذه الفترة، وكيف سنتعلم التأقلم مع تلك الظروف الجديدة

• زيارتنا الى متحف الفضاء في موسكو

ومع تقدمنا في المنهج , مرت علينا احد المعالم الشهيرة في احد الدروس, وهو متحف الفضاء فقررت " أننا " ان تاخذنا في رحلة اليه في اليوم نفسه عند الانتهاء من الدوام.

كان هذا المتحف يعد نافذة إلى عالم الفضاء والاستكشاف الذي كان يشغفنا وعند نهاية الدوام انطلقنا نستخدم وسائل النقل العامة للوصول إلى محطة المترو القريبة من المتحف. وصلنا إلى محطة " في دي إن خ " ومن هناك اتجهنا سيراً على الأقدام نحو متحف الفضاء. بينما تقترب من المكان، شعرت بالفضول المتزايد والتوقعات الكبيرة لما سنشهد

دخلنا المتحف لنجد أمانا نماذج ضخمة لمركبات الفضاء والصواريخ التاريخية. كانت هذه الآليات الفضائية تروي لنا قصة رحلاتها إلى الفضاء، وكأننا نعيش تلك التجارب الرائعة. بدأت اللوحات التفاعلية والتوضيحية في جذب انتباهي وتوفير لمحة علمية شاملة عن الفضاء وأبحاثه.

بعد ذلك، دخلنا قاعة النماذج الفضائية الحية، حيث يمكن للزوار الاستمتاع بمشاهدة نماذج دقيقة لمحطات الفضاء ومحطات الفضاء الدولية. تمثلت تلك النماذج في تفاصيل دقيقة وتعكس التطور التكنولوجي الروسي في مجال الفضاء.

كما تفاجأت بوجود مقصورة فضائية حقيقية يمكن للزوار دخولها واستكشافها. وقفنا داخل تلك المقصورة وغمرتني الأفكار حول حياة رواد الفضاء خلال رحلاتهم. كانت تلك التجربة وكأننا قد قطعنا المسافة بين الأرض والفضاء.

انتهت زيارتنا بجولة حول المتحف من الخارج واخذنا بعض الصور التذكارية لتذكيرنا بتلك اللحظات الرائعة. خرجنا من المتحف بأمل وحماس لمستقبل يمتلئ بالاستكشافات، عازم على متابعة رحلتي الدراسية والاستمتاع بكل لحظة في هذا البلد الذي أصبح لي جزءاً منه.

● رحلتنا المانية عبر نهر موسكو

وفي شهر يون من العام التالي بعد انتهاء موسم الربيع البارد

كانت الفرصة قد حانت لاستكشاف مدينة موسكو من منظور جديد، وهو من خلال رحلة مائية عبر نهر موسكو. قررت الانضمام إلى جولة على متن يخت صغير لنستمتع بمشاهدة المعالم البارزة والمباني الرائعة التي تطل على ضفاف نهر موسكو.

بدأت الرحلة عند ميناء صغير على النهر، حيث كان اليخت في انتظارنا. دخلت إلى اليخت ووجدت نفسي وسط مجموعة من الزملاء الأجانب، كلهم ينظرون إلى المناظر الرائعة التي تكشف أمامنا. بدأ اليخت يتحرك بلطف في مياه النهر، ونحن نستعرض الجمال المعماري للمدينة من زاوية لم اكن قد رأيتها من قبل.

كان نهر موسكو يمر بجوار مواقع رائعة، حيث كنا نرى جسر باغود/نوفسكي، الذي يُعد أحد الجسور البارزة في المدينة. كما مررنا بجوار مباني "موسكوسيتي"، مركز الأعمال الحديث الذي يبرز بفخر بين ناطحات السحاب.

لم يكن المشهد فقط عن المعمار، بل أيضًا عن الحياة اليومية على ضفاف النهر. رأينا الناس يتجولون على الأماكن العامة، والمطاعم والمقاهي التي تمتد على الضفاف، مما أضفى للمكان جواً حيويًا ومفعماً بالحياة.

استمرت الرحلة لساعات معدودة، ولكنها تركت في نفسي انطباعاً لا يُنسى. كانت فرصة رائعة لرؤية موسكو بطريقة فريدة، وتعرفت على جوانب جديدة من هذه المدينة الرائع
عندها أدركت أن رحلتي الى موسكو ليست مجرد رحلة دراسية، بل هي تجربة حياة لا تُنسى.

الفصل الرابع

● موسم شهر رمضان المبارك

وبدايةً لا تُنسى في شهر رمضان المبارك، قررنا مجموعة الطلاب المسلمين في موسكو الاحتفال والعيش في هذا الشهر الكريم بروح الأخوة والتسامح كما ينبغي.

كانت لدينا تحديات بسبب البيئة الجديدة والتقاليد المختلفة، ولكننا كنا عازمين على الاحتفال بشهر الصوم والعبادة واستشعار طعم الصوم في هذه الأراضي البعيدة عن وطننا.

فطلبنا من ادارة السكن ان تخصص لنا احد الصالات الفاضية في السكن كمصلى وايضا ترك المطابخ مفتوحة على مدار اليوم حتى نتمكن من تحضير افطارنا وسحورنا دون اشكال.

فوافقت الادارة على هذ الطلب دون تردد مما اشعرنا بالاطمئنان

كان الصيام في فصل الصيف في موسكو تحديًا، حيث كانت الأيام طويلة والليالي قصيرة، أضافة الى نمط الحياة في شوارع المدينة. ومع ذلك، كنا ملتزمين بأداء الشعائر والاحتفاظ بروح الصوم والتأمل.

كانت لدينا فرصة للتفاعل مع زملائي وكم يشرفني الالتقاء بهم اذ انهم ليس مجرد اصدقاء بل كانوا حقا اخوة, سائلا المولى ان يبارك خطاهم وان يرحم من رحل عنا اليه " الاخ اسلام , وليد , محمد , ناري , جمال , مازن , احمد "

قمنا بتنظيم أول إفطار رمضان بشكل جماعي في الصالة التي تم تخصيصها لنا في السكن. تجمعنا حول مائدة الإفطار وكنا نتبادل الطعام ونشعر بالفرحة بأننا نقضي هذا الشهر المبارك معا. بل واصبحنا أكثر تواصلاً مع بعضنا البعض.

أن رمضان في موسكو كان تجربة فريدة وثرية ومن اجمل الشواهد على ذلك كانت ألأنسة " أننا " امتنعت عن الاكل والشراب امامنا ليس كالسابق. فلم نراها تأكل او تشرب منذ وان علمت باننا صائمون مراعاة لما يشعر بعض الصائمون.

يا له من احترام....

• الشهور الاولى في دراسة الهندسة

انقضي شهر رمضان وانتهى الفصل الدراسي الاول واجتزت الامتحان اللغوي المقرر و تخطيطت حاجز اللغة وتعلمت وتكيفت معها مع مرور الوقت والجد والمصابرة وشعرت بالرغبة في تحسين

لغتي الروسية اكثر لفهم البيئة المحيطة والتفاعل بفعالية مع المجتمع الروسي والاستعداد للعام الاكاديمي المقبل فقامت بالعديد من الجولات داخل موسكو وممارسة الرياضة مع بعض الشباب الروس مثل كرة القدم والتزلج وقيادة الدراجات.

بدأت العام الدراسي الجديد واجتازت امتحان القبول وتم الحاقني بفرقة طلاب الهندسة وكان معي اثنين من الاخوة المصريين وهما الاخ إسلام والاخ محمد. وقد قادر ثلاثة من اصدقائي السودانيين الذين اتينا معا.

أحدهم ذهب الى فرنسا عبر الطريق القطبي مرورا بدولة النرويج والآخرين انتقلوا الى جامعة اخرى في مدينة تسمى " بلغراد " على الحدود الاوكرانية بعد انتهاء العام التحضيري واخذ شهادة اللغة الروسية.

وبقينا الاثنين في نفس الجامعة بينما التحق الاخ الاخر بقسم مختلف فكان لقائنا فقط في السكن.

أما أنا والاخ إسلام ومحمد كنا ندرس الثلاثة معانيين بعضنا البعض نقوم بالتكاليف والمشاريع الجماعية مع متحمسين بالدراسة, كنت اطلع الى مستقبل مشرق في عالم الهندسة والذي كان يتلالا امامي ,

ولاكن من سنن الله في الكون محال دوام الحال و المستقبل يحمل
دائمًا تحديات غير متوقعة.

الفصل الخامس

• الشروع في رحلة عبر منعطف مجهول

" قد فاتني مثل روسي يقول : اذا ركبت القطار الخطأ, فانزل في اول محطة, لانه كلما ازدادت المسافة ازدادت تكلفة العودة "

قد مرت اسرتي بضائقة اقتصادية بسبب اضطراب الاوضاع الامنية و الاقتصادية في البلاد مما اثر على دخل والدي المحدود وبما انه الوحيد الذي كان يساندني طوال ذلك الفترة ولا احد غيره فاضطرت للعمل مع احد شركات الاعلان في توزيع الاعلانات المطبوعة عند محطات المترو واحيانا امام الاماكن التجارية الكبرى حيث تختارها الشركة.

فكنت اذهب للدراسة في الفترة الصباحية واسابق الزمن بعد نهاية اليوم الدراسي الى بدء العمل والوقوف في محطات المترو لتوفير مصروف السكن والمواد الغذائية, وكانت الشركة من شروطها عدم التأخر عن موعد العمل لثلاثة مرات والا سوف ترفد عند المرة الثالثة والشروط تنطبق على الكل.

فكانت بداية لنهاية مجهولة , وبعدها بأيام اذ ان الجامعة تفاجئني بان اقوم بدفئ رسوم الدراسة والتي هي اكثر بكثير من المبلغ الذي قيل لنا وكانت المبلغ مئة خمسة وخمسين الف روبل بدلا عن مئة وعشرة

الف روبل, وان لم ادفع في الوقت المحدد فلن يتم تمديد فيزتي
الدراسية فكان امامي شهر واحد.

فاتصلت بو الذي لا خبره باصعب العبارات منذ رحيلي, وهذا التحديد.
فارسل لي مبلغ خمسة وثلاثين الف روبل لكي ادفعه ويجدد لي الفيزا
لحين يرسل لي الباقي لاحقا, والمصائب لا تأتي فرادى ففي ذلك
الوقت اصدر بنك السودان المركزي مرسوما بعدم السماح لاولياء
امور الطلاب الذين يدرسون في الخارج بالتحويل بسعر البنك ومن
اراد ان يحول فليحول بسعر السوق الاسود لا بسعر البنك والذي
يعتبر اقل نسبيا.

فكان هذا القرار اصابة في مقتل, فذهبت الى مكتب شؤون الطلاب
الدولين ومعى مبلغ خمس وثلاثين الف روبل أملا ان يقبلوه مني
ويمدد لي الفيزا ومع باقي الشهور مع كل تحويل اقوم بدفع جزء.

وهنا ياتي الرد الغير متوقع , وبكل برودة يقول لي الموظف: المبلغ
ليس الا مكتبنا نحن نريد فقط الايصال وبه نقوم بتجديد فيزتك, وهو
يعلم جيد ان بنك الجامعة لا يقبل جزء من المبلغ وانني حاولت لعدة
مرات قبل الذهاب اليهم.

عندها ضاقت موسكو بكل ما فيها امام عيني وذابت في دموعي. فما
بقي امامي حل فخرجت لا اشعر بالبرد ولا الجوع ولا حتى التعب

وكننت ماشيا من محطة مترو " الكتريزفودكايا " قرب الجامعة الى السكن قريبة في محطة مترو " شوكوفسكايا " على اقدمي و لأول مرة منذ وصولي الى موسكو.

وعند وصولي السكن نمت دون ان ارسل رسالة الى والدي واخبره بما جرى في يومي المشئوم ذلك, لا اريده ان يعيش لحظات الاسى. وفي اليوم التالي لم اذهب مع رفيقاي إسلام و محمد الا الجامعة, ولا يدرون ما امر به.

وعند عودتهم المساء اتوني في غرفتي يتفقونني طانين انني مريض لاني كنت نادرا ما اغيب , فلا اريد ان اخبرهم بما يجري وقلت لهم فقط لا اشعر بحالة جيدة لذلك لم اذهب وانني في صحة جيدة لست مريض , وتحدثنا قليلا محاولين اخباري بما فاتني من دروس

.....

وفي اليوم التالي اتنتني فكرة ان التحق بجامعة اخرى في احدى المدن الصغيرة حتما الرسوم الدراسية سيكون اقل وتكاليف الحياة والسكن ايضا.

لكن لم ينجح هذه الفكرة لان كل الجامعات قد اغلقت ابواب القبول
من قبل شهر سبتمبر ونحن الان في اواخر شهر نوفمبر, فماذا
يمكنني فعله الان؟

فقررت الالتحاق بكورسات اللغة الروسية المستوى المتقدم فاتصلت
بجامعة جنوب الاورال الحكومية بمكتب ادارة قبول الاجانب
واخبرتهم موقفي بانني طالب اجنبي ادرس الان الهندسة في جامعة
موسكو الحكومية السنة الاولى واريد الالتحاق لدراسة لغة روسية
مستوى متقدم في جامعتكم , هل يمكنني ؟ وماذا علي فعله لكي التحق
اذا كان نعم ؟

فسالتني الموظفة هل لديك فيزا سارية ؟ وما مدى صلاحيتها ؟
فقلت لها نعم. تبقت من صلاحية فيزتي 21 يوم .

فقالت لي نعم يمكنك الالتحاق فقط بعد احضار وثيقة خلو طرف من
جامعتك الحالية , فقلت لها وكم رسوم الكورس فقالت لي ستون الف
روبل روبل , وكان بحوزتي مبلغ اربعون الف روبل . ففي نفس اليوم
ذهبت الى الجامعة وقلت لهم اريد وثيقة خلو طرف , فاخذته وقمت
بحجز تذكرة قطار سفري في نفس اليوم وكانت الرحلة الساعة
التاسعة مساء ثم عدت الى السكن وحزمت امتعتي واصبحت مستعدة
لوداع موسكو والجامعة.

وفي المساء عندما عاد اصدقائي اخبرتهم بانني مسافر اليوم واني
ذاهب الى مدينة تشليابنسك الى جامعة جنوب الاورال الحكومية ؟
فتفاجؤا جدا واطهرت وجوههم مقدار الحزن على فراقي وعند
الساعة السابعة ساعدوني على حمل امتعتي من السكن الى محطة
المترو وذهبنا معا الى محطة القطار وظلوا معي الى ان قد حان
موعد رحلتي فعانقتهم مودعا قلت لهم المثل السوداني " ان بقينا احياء
سنلتقي ان شاء الله " وركبت القطار وانظر اليهم بالنافذة ظلوا واقفون
يلوحون بايديهم

.....

بدأ القطار يتحرك ببطء ثم تزداد سرعته شيئا فشيئا, هذه كانت المرة
الاولى بالنسبة للسفر بواسطة القطار العادي كانت المسافة بعيدة جدا,
من موسكو بقارة اوربا الى قارة اسيا حيث تقع مدينة تشليابنسك, اذ
ان المسافة بينهما تبلغ حوالي الف وثمانمائة كيلومتر وبما ان الرحلة
بواسطة القطار غير مستقيمة وتمر بعدة مدن وتتعرج فكان المسافة
ابعد من ذلك وطول الرحلة بالوقت 33 ساعة في الطريق , وابتعدنا
شيئا فشيئا وكانت الاسى والحنين يملئني وكانني مفارق مدينتي
الاصل وكنت اتمنى ان تكون كل هذه اللحظات مجرد كابوس
واستيقظ منه.

لاكن هذا هو الواقع الان لبدء صفحة جديدة فاجبرت نفسي على قبول الحال, وبعدا قليل شعرت بالنعاس والفتور فاستلقيت على السرير " مقاعد قطارات السفر عريضة تكفي للنوم " ونمت وفي صباح اليوم التالي عندما إستيقظت وجدت العديد من الركاب على نفس العربة وهناك امرات متقدم في العمر نظرت الى بشيء من الحنية وبدأت تتحدث معي , فسالتني اول سؤال , هل تتحدث اللغة الروسية ؟

قلت لها نعم لقد درست اللغة الروسية لمدة سنة وبضع شهور فتعجبت حين سمعتني اتحدث اللغة الروسية بوضوح

بعد ذلك مجموعة من الشباب والفتيات اتوا ليجلس البعض على مقعدي.

وبدأوا بالاسئلة عن اسمي ؟ ومن اين ؟ والى اين ؟ ولماذا اخترت روسيا ؟ الم تعلم بان الجو هنا وحشي شديد البرودة ؟ والعديد من الاسئلة فكانو متشوقين لاجابتي لاسئلتهم وفي نفس الوقت مندهشين بانني افهم واراد على اسئلتهم باللغة الروسية, وبدأت في الحوار معهم , واحضرت لي تلك الانسة كوب قهوة وقالت لي انها ايضا ذاهبة الى مدينة تشيليابنسك, اي سوف ننزل معا في نفس المحطة فأأنسوني وجعلوا رحلتي افضل بكثير بل شعرت بانني في وسط مجتمع جديد من الاصحاب , فسبحان من جعل محال دوام الحال.

الفصل السادس

• رحلتي الاولى الى اسيا " منطقة جنوب جبال الاورال "

في صباح اليوم التالي كان الاجواء باردة , بدأت القطار في الابطاء شيئاً فشيئاً انها مدينة تشليابنسك عاصمة مقاطعة جنوب الاورال , قامت تلك السيد حاملة حقيبتها واتت نحوي قالت لي استعد للنزول لقد وصلنا تشليابنسك قمت حاملا حقائبي ووقفت قلفها بالقرب من باب عربة القطار وعند توقف القطار نزلنا وقالت الى اين وجهتك الان ؟ فقلت لها الى جامعة تسمى جامعة جنوب الاورال الحكومية . فقالت لي وهل من احد في انتظارك لياخذك الى الجامعة ؟ فقلت لا , لآكن سأتدبر امري ربما أأخذ سيارة اجرة , فقالت لي انتظر هنا وترك حقيبتها معي وخرجت من المحطة وسرعان ما عادت و معها شاب في عمري تقريبا يتحدثون بشوق فعلمت انه قريبها وربما ابنها فاتو الي والقى الي التحية واخبرني انه ابنها وقال لي تعال معنا وحمل احد حقائبي فخرجنا من المحطة الى الخارج حيث سيارتهم فوضعت حقائبي على ظهر السيارة وركبنا واخذ يقود السيارة. ثم توقف عند مقهى وتناولنا قهوة و فطائر ثم اكملنا الرحلة الى ان اوصلوني عند مدخل الجامعة وقبل نزولي اخذ رقم هاتفي وقال لي اذا احتجت لاي مساعدة عليك ان تتصل بي فشكرتهم وانطلقوا ذاهبون.

دخلت الى مبنى الجامعة وتركت امتعتي عند غرفة الاستقبال اخبرتهم بانني طالب جديد حضرت للتو واريد ان اذهب الى مكتب شؤون الطلاب الدوليين للتوجيه , فاوصفو لي المكتب , وعند وصولي قمت بطرق الباب ودخلت فقالت الموظفة مرحبا حبيب ها قد وصلت , تفضل بالجلوس , ماذا تريد ان تشرب ؟

قلت لها شكرا لقد شربت قهوة من قبل قليل.

فقلت لي اعطني جواز سفرك وصورة فوتغرافية.

فقدمت لها جميع مستنداتي " هذه اللحظة تذكرني باول يوم في جامعة موسكو الحكومية التقنية " فقالت لي اريد الان فقط الجواز وصورة فوتغرافية لكي نبدأ في تمديد الفيزا لك.

فقامت بنسخ الجواز والفيزا القديمة على صفحة واحدة وختمت عليها بختم الجامعة واعطتني تلك النسخة وقالت:

خذ معك هذه النسخة للاحتياط وسوف نرسل جوازك الى قسم الهجرة لاصدار الفيزا , وعندما يكون جاهز سوف نتصل بك لآخذه , فقلت حسنا ثم اجرت مكالمة هاتفية استدعت احد الطلاب وقالت له اذهب معه الى السكن الثالث.

فخرجت مع ذاك الطالب واخذت امتعتي من عند الاستقبال وذهبنا معه الى السكن, كانت المسافة قريبة جدا من الجامعة , وعند دخولنا السكن قابلنا مديرة السكن التي وجهتني الى غرفة الاستضافة في الدور الارضي لحين تقوم بنقلي الى احد الغرف الدائمة بعد ان احصل على

الفيزا الدراسية من جامعتهم وحصولي على بطاقة طالب ايضا لانني ما
ظلت ضيفا لديهم وليس بطالب دائم.
فاخذت نوم عميق عند وصولي الغرفة

.....

وفي اليوم التالي بدأت اتجول في المدينة وتعرفت على الاماكن
التجارية والاسواق الشعبية واشتريت بعض المواد الغذائية لاقوم
بتحضيرها ريثما اعود فقد كنت جائعا جدا والجو ابرد بكثير من شتاء
موسكو فهذه تجربة جديدة لاجواء وطقس جديد اكثر برودة, وعند
عودتي للسكن قمت بتحضير وتناول طعام دافئ وكوب شاي
فاحسست بالدفئ وعندها علمت بانه يمكنني البقاء هنا ايضا. ولربما
يكون بداية جديدة و مثالية.

.....

في الاسبوع القادم انتني اتصال من الجامعة فذهبت لاستلم فيزا جديدة
مطبوعة على احدى صفحات جواز سفري صالحة لمدة 9 شهور
وعندها قمت باستخراج بطاقة طالب وتم توزيعي في احد المجموعات
المتقدمة تحت مسمى " خ.خ.2 "
و عند عودتي للسكن في المدخل قابلتني مديرة السكن واعطتني مفتاح
وقالت لي مرحبا بك في السكن الثالث لجامعة جنوب الاورال رقم
غرفتك هو 712 في الدور السابع الغرفة رقم 12 .

فاخذت المفتاح متفاجئاً وفي ذهني مجموعة اسئلة كيف علمت بالتقدم الذي قمت به ؟ومن ادراها بكل هذا ؟

عندها علمت بقوة الاتصال بين اقسام الجامعة ومقدار التقدم في التكنولوجيا لديهم وربط انظمتهم مع بعضها البعض فحملت امتعتي وانتقلت الى الغرفة المحددة.

فوجدت بها طالبين احدهما روسي الجنسية من قرية مجاورة لتشييلابنسك والآخر طالب عربي من جمهورية العراق فرحبوا بي وكنا اصدقاء لدرجة كبيرة جدا.

كان الاخ العراقي نادرا ما يكون في السكن لانه غالبا ما ينام مع اصحابه العراقيين الذين يستاجرون شقة في حي اخر, اما الطالب الروسي فدائماً بالسكن عدا العطلات الاسبوعية فيذهب الى قريتهم.

و كان ذلك الطالب الروسي ينظر الي مندهش حين يراني اعدي صلاتي في الغرفة فذات مرة سالني قائلا:

حبيب لماذا تصلي و اين تعلمت الصلاة ؟

فظننت انه منزعج من صلاتي داخل الغرفة , وقلت في نفسي دعني اخبره اهمية الصلاة بالنسبة الي حتى لا يتدخل في شأنه فقلت له: انا مسلم وهذا أهم ركن في ديني فمن لم يصلي ليس بمسلم , و اما بخصوص الجزء الثاني : بما انني نشأت وسط مجتمع مسلم يأدون صلاتهم دون انقطاع فحتماً علي ان اتعلمه منذ صغري مثل اللغة.

فقال وماذا عن النشيد الذي يقرأ في الصلاة " قاصدا القرآن " ؟ فقلت له نحن ندرس القرآن من اول فصل في المدرسة كمادة اساسية في المدرسة حفظا وفهما ومنا من يتفرغ فقط لحفظ القرآن كاملة وفهمة في مدارس مخصصة لعلوم الدين فقط, كما لديكم كنائس وهناك من يخصص حياته للتعاليم المسيحية حفظا وعملا.

فقال لي جملة مؤثرة جدا لا استطيع نسيها, جعلني احس بالخجل من طريقة جوابي له وقال لي:

انا ايضا مسلم وامي وابي مسلمين لكن لا احد يعلمنا الصلاة او حتى اناشيد الصلاة , فامي وابي يصلون وحت يصومون لাকني لا اعرف اصلي ولا اصوم والقرآن لا يدرس في مدارسنا.

فتاشرت جدا لسماعه وقلت له يمكننا ان نصلي معا اذا. واخبرته عن الوضوء وعن كيفية الصلاة وحتى انه حفظ بعض السور لاداء الصلاة كان محتما جدا ويقول لي انت اهم زيادة عرفته في هذا السكن بل كان نذهب الى المسجد في يوم الجمعة معا.

ومن قوة العلاقة بيننا حيث كان يذهب في كل عطلة ليزور والديه فاخبرهم عني فكانو يحضرون له اطعمة منزلية عند كل زيارة . وكانو يخصصون لي نصيبا من الاطعمة والحلويات المحضرة منزليا والعديد من الفواكه.

الفصل السابع

• فصل الرهان والاعتماد على المجهول

لقد توسعت دائرة معارفي وانخرط في الانشطة الطلابية والمجتمعية وشاركت في العديد من الانشطة الرياضية والثقافية حيث حصلت على ميدالية في رياضة التزلج على الجليد في مسابقة نظمتها الجامعة للطلاب الاجانب في المدينة.

وفي ذلك اليوم التقيت بطالب من السودان ايضا كان يدرس في نفس المدينة في جامعة اخرى , فتعرفنا على بعض واخبرته عن قصة مجيئي الى هذه المدينة فتأثر من سماعها وقال لي: لماذا لم تقدم على منحة دراسية وان نتيجتك ممتازة جدا في الشهادة الثانوية ؟

فقلت وماهي هذه المنحة ؟ وكيف ؟ واين يمكنني التقديم اليها ؟

فبدأ يحدثني عن منحة الحكومة الروسية للاجانب وميزاتها وطريقة التقديم لها ثم قال لي : انا نسبتني في الثانوية كانت فقط 71 و حصلت على منحة انت بنسبتك هذا ليس هناك ادنى شك ان يتم قبولك , فقط قم بالتقديم وارفق مستنداتك.

كما ارسل لي موقع المنحة على الانترنت, عندها شعرت بأمل لم يسبق لي وان احسست بذلك منذ مقادرتي للجامعة الاولى في موسكو

وعند بدء موعد التقديم للمنحة قمت بملء الفورم ورافقت المستندات المطلوبة كما ينبغي وقمت باختيار جامعة جنوب الاورال الحكومية كاول اختيار ثم جامعتي القديمة و جامعة الصداقة بين الشعوب في موسكو وقمت بارسال الطلب.

.....

وبعد انتهاء فترة التقديم...في كل يوم اقوم بفتح الموقع لاكثر من مرة وافتح ايميلي على امل أن أجد رسالة من قسم المنح يبشرني ولاكن لا يوجد اي شيء.

وبعد شهر ونصف تقريبا من انتهاء التقديم ذات مرة فتحت جوالي فاذا هناك ايميل من ادارة المنحة بان طلبي قد تم قبوله من قبل جامعة جنوب الاورال الحكومية التي ادرس بها الان.

وقتها لم اصدق ما قرأت للمرة الاولى فاخذت اكرر القراءة مرة بعد مرة وكدت اطيير فرحا وذهبت الى الجامعة قسم شؤون الطلاب الدوليين لتوجيهي بما علي القيام به, والتقيت بمسئول القبول واخبرته بانني قد ارسلت طلبا للحصول على منحة الحكومة الروسية للطلاب الدوليين وقد انتني رسالة عبر الايميل من جامعتكم المرموقة تقول بان طلبي قد تم قبوله, فما هي الخطوة التالية ؟

فطلب مني ان أريه الرسالة, وبعد قرائته لها قال لي: نعم هذا قبول مبدئي من الجامعة ولاكن القرار النهائي تعود الى مركز الثقافة الروسية في بلدك او السفارة الروسية في حال عدم وجود مركز ثقافي روسي.

فقلت له شكرا على المعلومة وساتواصل بالسفارة لتوجيهي, فخرجت عائدا الى السكن يغمرني الفرحه والسرور.

وفي اليوم التالي قررت ان اتصل بالسفارة الروسية في السودان واخبرهم عما يجب علي فعله, فبحثت عن ارقام التواصل مع السفارة الروسية في السودان من الانترنت واتصلت بها فيستقبلني احد الموظفين او السكرتاريين وكان يتحدث اللغة العربية اي من السودانيين العاملين بالسفارة الروسية قائلا:

اهلا وسهلا, من السفارة الروسية بالخرطوم مين معي؟ وكيف اقدر اساعدك؟

فقلت له: السلام عليكم ورحمة الله, واخبرته اسمي ثم قلت له انا الان بروسيا ادرس لغة روسية في جامعة جنوب الاورال الحكومية وقد قدمت بطلب للمنحة عبر الانترنت وانتني ايميل بان تم قبولي مبدئيا من الجامعة والمتبقي القبول النهائي وهذا من السفارة الروسية بالسودان فماذا علي القيام به؟

فرد علي قائلا : بخصوص المنحة اذا تم قبولك من قبل الجامعة لازم
تاتي السفارة لاجراء المعاينة .

فقلت له ومتى تقام المعاينات للمقبولين ؟

فرد قائلا : الاسبوع القادم او الاسبوع بعد القادم, لم يتم تحديد موعد
المعاينات بعد لآكن عليك بالمجيء الى السفارة ومتابعة التحديثات
على اللوحة عند مدخل السفارة.

فقلت له: انني الان في روسيا هل يمكنني اجراء هذه المعاينة اونلاين
عبر الانترنت؟

فقال لي مستحيل, و اذا ما حضرت المعاينة فانت تلقائيا مستبعد.

فقلت شكرا على المعلومات وقطع الخط.

بعدها قمت بترتيب بعض امتعتي وحجزت تذكرة قطار إلى موسكو
في نفس اليوم وبدأت رحلتي عائدا الى موسكو, وعند وصولي الى
موسكو تننيت لي فرصة بان التقى بصديقي إسلام و محمد الذان
استقبلوني بحفاوة وود من بعد مرور 8 شهر تقريبا.

وفي نفس يوم وصولي في المساء كانت رحلتي الى السودان من مطار "دوموديدوفو" الدولي في موسكو وهو نفس المطار الذي حبطنا فيه للمرة الاولى.

• عودتي الى السودان

استقبلتني السودان معاتبا , الم توعدني بانك تعود الي مهندسا؟ ماذا صار لو عدك لي ؟

فقلت وعدي قائم ولم اخلفه. فاحتضنتني مرحبا.

خرجت من المطار ليلا ولم يكن هناك من ينتظرنني وتذكرت انني ابقيت معي قليل من العملة السودانية قبل رحيلي كقطعة تذكارية. فأخرجته من محفظتي قائلا له: استيقظ كفاك نوم لقد حان دورك أرني ماذا تفعل الان؟

فقلت لي : لا تؤاخذني لقد فقدت ثلاث ارباع قوتي لاكمي سأكفيك للمواصلات الى ام درمان عبر الباص. وذهبت الى منزل عمي في مدينة ام درمان غرب الخرطوم.

فاستقبلوني مرحبين, واحضروا لي العشاء وتركوني لانام كان منتصف الليل ويعلمون انني متعب من طول رحلتي, لكن كان تركيزي في ان يصبح الصباح واعد الى السفارة للاستعلام عن المعاينة.

وفي اليوم التالي ذهبت الى السفارة للاستفسار وقابلت العديد من الطلاب الذين اتتهم القبول عند باب السفارة لنفس الغرض لكن موظف السفارة جوابه ما ظال " تابعوا على اللوحة عند باب السفارة ".

فصرت اذهب الى السفارة كل صباح و اقابل نفس الاشخاص حتى تعرفنا وتبادلنا الارقام مع بعض لنأتي معا. و كان منزلي بعيد جدا من السفارة والترحيل مكلف فقلت لبعض الشباب:

لقد امضينا اسبوع ونحن نأتي الى هنا كل يوم وكأنا موظفون لدى السفارة , والبعض منا يضطر لقطع مسافات طويلة و بصورة يومية وموعد المعاينة غير محدد كما ترون.

فضعونا نقوم بانشاء مجموعة فقط ياتي بعضنا يتابع التحديثات عند السفارة بخصوص موعد المعاينة. فاذا تم الاعلان عن موعد المعاينة يتم ارساله في المجموعة فوافقنا على هذا وقمنا بانشاء

مجموعة تضم 32 شخص من الذين كنا نلتقي بصورة دورية. فهناك الكثير منهم يسكنون في الخرطوم وقريبين من السفارة اتفقو على انهم يتابعو عن كذب على اي مستجدات ويفيدو الباقيين ثم عدنا.

.....

لاكن المفاجأة كانت بعد ثلاثة ايام فقط. نزلت رسالة في المجموعة بعدها أرى 20 شخص غادرو المجموعة لم افهم ماذا جرى لهم حتى قرأت الرسالة كانت الرسالة كالتالي:

" السلام عليكم شباب , داير اقول لكم انو مافي معاينة لا شيء, الامس كنا جالسين في باب السفارة والقنصل جاء داخل وقال لنا اعملو قائمة سجلو اسمائكم اللي جاتكم قبول من الجامعة فسجلنا اسمائنا واعطيناه الورقة وقال لنا خلاص ارجعو مافي معاينة والنتيجة حينزل لكم في الايميل ".

لم اصدق ما قرأته وذهبت الى السفارة بنفسي كي اتأكد لآكن كان الرد بكل برود:

انتهى الاختيار وبعد اسبوع سيتم بدء اجراءات الناس المقبولين.

فسألت سؤالي الاخير بصورة محبطة ومن هم المقبولين وكيف اعرف اذا كنت من بينهم او لا ؟

فيرد علي: المقبولين فقط بينزل لهم ايميل الاسبوع القادم لبدء اجرائاتهم .

فانتهت عباراتي وعدت بنسبة ضئيلة من الامل عسى ان يرسل لي ايميل القبول لبدء اجرائات السفر مع المقبولين.

مضى اسبوعان وكل يوم افتح ايميلي لاكم لا شيء فعلت بانه قد رفعت الاقلام وانطوت صفحة احلام المنحة.

وسافرت من الخرطوم الى قريتي متأسفاً متحسراً, أنطلقت احصي خسارتي الممزوجة بالاحزان والخذلان ولا أدري من الوم؟ من أعاتب؟ ولمن أشكي؟ وعن ماذا أشكي؟

الفصل الثامن

• الاستعداد الى المقامرة الكبرى

يبدو أن هناك شيئاً مهماً ينتظرني في الأفق وأن ما مررت به الى هذه اللحظة كانت تمهيد لما هو قادم وتذكرت المثل الذي يقول: " بعد العاصفة يأتي الهدوء ".

مكثت شهرا في قريتي حيث تغيرت الظروف كثيرا ساءت الاوضاع الامنية واصبح لا طعم للحياة فيها سوى الاهل والذكريات, وكثرت الاعتداءات المسلحة حتى اصبح امر اعتيادي ومتوقع تحت اي لحظة.

فاول النصائح من ابي كان " الزمان تغير يا ولدي , لا تخرج من المنزل وانت تحمل هاتفك على يدك , قد يكون سبب لنهاية حياتك , قتل انسان اصبح اهون من قتل طائر, واحظر ان تخرج بعد العصر ".

كانت هذه العبارات تشرح الحال الذي وصلت اليه الاقليم باكملها.

وبسبب الحروب والاغلاق المتكرر للجامعات والمدارس في الولاية بعض اصدقائي يقولون انهم اكملو فقط سمسنتين على مرور عامين. ومنهم من ترك الجامعة بصورة نهائية واعتبرها مضيء للعمر ومنهم من اجبر على مفارقة الحياة.

وكانو يقولون لي عدت في زمن خاطيء جدا لاكنني مدركا صعوبة الايام لانها لم تكن المرة الاولى فقد عشت التجارب من قبل وشاهدت الاسوأ فلن اجد صعوبة في ادراك ما يجري.

وبدأت امارس اعمال البناء في الفترة الصباحية وفي يوم من الايام قررت ان اعود الى روسيا واواصل دراستي في احد الجامعات التي تكون اسعار الدراسة اقل مخططا ان اقوم باي عمل على دوام جزئي لتغطية مصاريفي الدراسية واحتياجاتي اليومي دون ان انتظر اي دعم مادي من واسرتي لانني مدرك الصعوبة التي يمر به اهل بلدي.

فبدأت ابحت في الانترنت عن الجامعات واقارن اسعار الدراسة والحياة في مدنها , فوجدت جامعة تيومين الحكومية

كان سعر الدراسة فيها اقل نسبيا وسعر السكن ايضا فقررت الذهاب اليها.

وقمت بتقديم طلب الالتحاق وبعد ايام انتني رد عبر الايميل بان اقوم باختيار موعد لاجراء امتحان القبول عبر الانترنت فقلت هذا خبر سار.

فقررت باختيار موعد الامتحان لبعء اسبوع لانني اريد ان اعود الى العاصمة حيث الانترنت متوفر بصورة اقوى و أخبرت واسرتي بانني ذاهب عن قريب فحضرت لي والدتي الزاد و ودعت اخوتي مجددا وسافرت الى الخرطوم واجريت امتحان القبول.

بعدها ارسلت لي الدعوة عبر البريد السريع الذي استغرق قرابة عشرة أيام.

ثم حصلت على الفيزا وحجزت على اقرب رحلة والتي كانت على متن الخطوط الجوية التركية فقامت بكل الاجرائات لوحدي فقد تعلمت من تجربتي السابقة.

وعند وصولي الى موسكو كانت هذه المرة عبر مطار يسمى
" شريميتوفو " الدولي.

وبعد ان قمت بملء فورم أجهزة الهجرة رأيت ثلاثة فتيات
أجنبيات كُنَّ في حيرة من أمرهن, و بعد تخطيم جوازي وقبل
عبوري, هرولت نحوي إحادهن عندما رأتنني ذو بشرة سمراء
فعرفت بأنني أجنبي وحاولت ان تتحدث معي بالانجليزية فقالت
لي :

عذرا وكانت مستواها في اللغة الانجليزية ليس بالقوي فعرفت
انها من عربية. فحاولت تشرح لي مشكلتهن بانهن عالقات مع
موظف جهاز الهجرة بسبب عدم معرفتهن للغة الروسية
لتجاوب على اسئلتهم البسيطة وان جامعتهن لم تكلف احد
لاستقبالهن في مطار موسكو. فقلت لها بالعربية :

ممكن اشوف جوازك لو سمحت؟

فردت علي مستغربة انت بتتكلم عربي يا عم؟

قلت لها ايوة انا من السودان.

فقلت لي: لما بتتكلم عربي ليش ما قلت لي من زمان؟

فقلت لها: لانك كلمتني بالانجليزي فكنت برد عليك بها.

فقلت ضاحكا: طب كيف عرفت انو انا بعرف عربي لحتى تقول لي هات جوازك بالعربي؟

فقلت لها: ظاهر من لهجتك انك عربية, بل مصرية, لانك بعد كل شوي بتستخدمي كلمة عربية باللهجة المصرية.

فضحكت وقدمت لي جوازها. كنت اريد ان ارى الفيزا حتى اعرف اي جامعة ارسلت لهم الدعوات حتى استطيع مساعدتهن مع موظف الهجرة.

وعندما فتحت جوازها ونظرت الى الفيزا فكانت من نفس الجامعة التي ذاهب اليها وهي جامعة تيومين الحكومية

فكنت لهن مترجم مع موظف الهجرة وبعدها عبرن. فشكروني قائلين لولاك ما كنا عرفين نعمل ايه ويمكن يرجعوننا او تفوت علينا رحلتنا الثانية.

عندها عرفت بانهن حاجزات على رحلة من موسكو الى
تيومين قلت لها ارني تذكرتك للرحلة الثانية, وعندما رايتها لم
يتبقى سوى ربع ساعة من رحلتهم فسالت احد موظفي المطار
عن تفاصيل رحلتهم وذهبنا الى حيث اجراءات رحلتهم.

ثم خرجت من المطار متجها الى محطة القطار لانه اقل تكلفة
كما انني اريد توفير اي روبل ممكن.

قصتي مع الاخوات المصريات يذكرني بأهمية تعلم اللغات كما
صح المثل " من عرف لغة قوم أمن شرهم ".

.....

• انفا سي الاولى في غرب سيبيريا مدينة تيومين

وبعد يومين على الطريق اخير قد وصل القطار الى مدينة تيومين "
العاصمة الثانية للصناعات النفطية " بروسيا نزلت على امل ببداية
فصل جديد.

لقد جئت هذه المرة و في مخيلتي خيارين, الخيار الاول ان اوفق بين العمل والدراسة معا. والخيار الثاني ان ادرس عاما واعمل عاما اخر.

و بعد وصولي الى الجامعة واكمال اجراءات التسجيل هناك العديد من الدروس الفائتة حيث وصلت متاخر بشهرين.

فبدات بالدراسة وكنت ادرس لساعات طوال لتغطية الدروس الفائتة لقد كنت الطالب الوحيد من افريقيا في كليتي فكان العديد من الطلاب الروس يجلسون معي ونتمشى معا , والبعض يساعدونني في أداء الدروس والتكاليف الفائتة.

و كنت متفاعلا جدا مع البداية الجديدة, ناسيا كل الهموم السابقة ولاكن الحال لم يدوم طويل حين قمت بدفع نصف مبلغ الدراسة وايجار السكن, فكان مصروفي المتبقي لم يكفيني لشهر مقبل, فقلت الان قد حان وقت تقسيم الوقت والبحث عن عمل.

و بدأت أبحث في الانترنت عن اعمال بدوام جزئي للطلاب, فكانت الخيارات محدودة جدا ولم تتوافق مع دوامي الدراسي حيث كانت الدراسة بدوام كامل وكنت امضي ثمانية ساعة في الجامعة , فمعظم الاعمال لم يتوافق معي مثل اعمال المتاجر او المخازن او المقاهي

والمطاعم , فشعرت بأنني في مازق جديد ان لم استطيع إيجاد عمل مع نهاية شهري هذا لأنفق على نفسي.

و ذات يوم وبينما كنت اتصفح عن الاعمال , فإذا بنافذة اعلانية تنبثق على جوالى عن تطبيق للموبايل يسمى " وورك " اي عمل فقلت ضعني اجر ب فقتم بتنزيل التطبيق والتسجيل فيه.

وعند اكمال عملية التسجيل فتحت معي واجهة المستخدم فاذا بالعديد من الاعلانات عن الاعمال الصغيرة تظهر معي فاخذت اتصفح تلك الاعلانات , فوجدت اعلان شد انتباهي ان العمل بدوام جزئي للطلاب وصيغة الاعلان كالتالي: اريد مساعد للعمل في مشروع منزلي صغير ."

فقلت مثل هذا النوع من العمل لا احد يسئلني عن تصريح عمل او نوع فيزيتي اذا قبلت به , ضعني ارسل صاحبة الاعلان. فارسلت لها رسالة محتواها : " مرحبا الانسة يلينا , اتمنى ان تجدك هذه الرسالة في حالة جيدة , لقد وجدت اعلان لك على تطبيق وورك , واريد ان اخبرك عن مدى اهتمامي واستعدادي للقيام بهذا العمل , ارجو اخباري ما اذا كانت الفرصة متاحة الان. مع اطيب التحيات حبيب "

فما هي الا لحفظات بعد ارسال رسالتي هاتفي يرن , و الاتصال من رقم غير محفوظ, لم اظن بخصوص رسالتي لانني ارسلتها للتو .

فاستقبلتها قائلاً: مرحبا, من معي ؟

قالت : انا يلينا ايبرت , لقد وجدت رسالتك التي ارسلتها قبل قليل.

تفاجأت وتفاعلت, قلت لها نعم نعم, في الواقع انا لست

روسي انا من افريقيا وادرس في جامعة تيومين هل يمكنني ان

اعمل معك؟ وما هي نوع العمل الذي تريدين المساعدة ؟

فكانت تبدو مشغولا, فقالت لي سارسل لك العنوان يمكنك المجيء

اليه في المساء.

فقلت حسنا, فارسلت لي العنوان

العنوان لمنزل في قرية قريبة من المدينة تبعد حوالي مسافة نصف

ساعة من سكني الجامعي في المدينة, عبر المواصلات.

كان الجو بارد جدا وفي المساء ارتديت جاكتي وقبعتي ولففت شالي

وخرجت متجها الا تلك العنوان فذهبت الى محطة المواصلات

وانتظرت الحافلة رقم 144 كما قالت لي وتوجهت الى العنوان.

وصلت إلى القرية في الظلام، حيث كانت الأضواء الخافتة تضئ الشوارع الضيقة. توجهت نحو العنوان الذي أرسلته لي يلينا، فبدأت أتردد متسائلاً ماذا يمكنني أن أعمل هنا؟ وما طبيعة العمل؟ هل أعود أدراجي وأعتبرها خطوة غير موفقة أم أكمل؟

لأن عندما تذكرت حاجتي الماسة للعمل فقررت أن أصل إلى آخر نقطة لطالما قطعت كل هذه المسافة.

وبعد بضع دقائق وجدت نفسي أمام باب منزلها. كانت منزل كبير من ثلاثة طوابق يحدها مساحة واسعة محاط بسور حديدي، قمت برني صغير، وأطلقت الجرس.

افتحت الباب يلينا بنفسها، وكانت تبدو ودودة ومبتسمة. قادتني إلى داخل المنزل الدافئ وقالت لي أريد قهوة أم شاي؟ وقبل أن أجيب قالت لي لا تكن خجول تكلم، قلت لها أفضل قهوة، فوضعت لي كوب قهوة ووضعت مكعبات من السكر أمامي على الطاولة ثم أحضرت فطائر وبسكويت ووضعتها على الطاولة وأخذت كوب قهوة وبدأت تحدثني عن التفاصيل الخاصة بالعمل.

كانت تحدثني وكأنني على دراية بعملها وكانني شخص مألوف لديها, متجاهلا كل المقاييس الذي قد يتخذ من قبل العديد عندما يكون الطرف الآخر غريب.

كانت تحتاج إلى مساعدة في متجرها الصغير حديث الانشاء والافتتاح, بحاجة الى شخص يساعدها في اعمال تحضير المنتجات والعمل في المتجر, وقالت: لدي بنتين احدهما في الروضة والاخرى في المدرسة وعلي ان أخذهن كل صباح الى المدرسة في المدينة وفي المساء اذهب لاحضارهن واعمال المتجر والمنزل كلها على عاطفي فيصعب علي التوفيق, فاريدك ان تساعدني في اعمال المتجر , ثم ذهبنا للأسفل حيث متجرها التي تتحدث عنها.

الفصل التاسع

• متجر المدخّنات المنزلية وحادثّة الثلاثة مليون

متجر المدخّنات المنزلية : متجر صغير على ركن المنزل لبيع الاسماك واللحوم الطبيعية المطهية بالبخار بالاضافة الى منتجات الالبان

لقد أنشأت " يلينا " هذا المتجر الصغير لمساعدتها في تغطية نفقاتها واحتياجاتها بجانب متجرها على الانترنت لبيع معدات نقص الوزن والمعدات الرياضية فكانت تشتري مجموعة متنوعة من الاسماك والدجاج واللحوم الحمراء وتقوم باعدادها وطهيها بالبخار وعمل انواع مختلفة من السجوق وعندما يكون المنتج جاهزا , تقوم باعلانها في مجموعتها على الانترنت لزبائنها فالكثير كانوا ينتظرون رسالتها لتناول ما هو صحي وطبيعي خالي من المواد الكيميائية الحافظة المستخدمة في منتجات اللحوم والالبان في المتاجر الكبرى كما ان منتجاتها دائما طازجة ولا تقوم بتحضير كمية كبيرة ليبقى . وهذا ما يجعلها تعمل بصورة يومية دون انقطاع فغالبا لم تكن جالسة في المتجر لانتظار المشترين لانها تكون لديه الكثير من الاعمال في المنزل.

وكان لديه جهاز لا سلكي تضعه في المنزل مع وجود زر عند مدخل المتجر , وكان كلما ياتي مشتري يقوم بالضغط على الزر عند مدخل المتجر فتخرج الى المتجر لاستقبال المشتري.

في الاخير قالت لي هذا كل شيء اذا موافق تساعدني في مشروع فيمكنك البدء من غدا العمل كما رايت مختلف احيانا قد يكون ثقيل واحيانا بسيط جدا.

فقلت لها بالطبع وبينما نحن في المتجر أتى صديق لها. وكان قد ذهب الى المدينة لاجتماع بنات يلينا الاثنتين و بنت اخت يلينا فعندما رأني كان هو الآخر ايضا لطيف وبدا في الحديث معي وكان صديقه من فترة وسألني كيف وجدت مشروع يلينا ؟ هل ستبدأ العمل معها ؟

قلت نعم انا في الواقع بحاجة ضرورية الى العمل ايضا.

انني اتيت للدراسة لآكن ليس لدي اي دخل ولا انتظر دعم من اي جهة اخرى.

فرد قائلا : لا تقلق ان يلينا فتاة طيبة جدا وسوف تساعدك بقدر ما تستطيع .

فسالني .هل تناولت شيئا ؟

قلت له : نعم لقد اشبعنتي منذ دخولي حتى قبل ان تحدثني عن العمل.

لقد مضى الوقت وكانت حوالي الساعة التاسعة ليلا ولا ادري هل اجد موصلات الى المدينة ام لا , فقلت اريد الذهاب , الان .

وان دروسي في الصباح من الساعة الثامنة والى الساعة الرابعة مسائا

فقالتي يلينا : لا باس يمكنك ان تأتي بعد الساعة الرابعة والى الساعة التاسعة

فقلت حسنا سأنتني مباشرة بعد الدوام الدراسي.

قالت يلنا : لا تقلق من شأن الموصلات وقامت بتخليف قطعتين سمك من المتجر واعطني قائلا خذ هذا لعشائك.

وهذه كانت المرة الاولى لي منذ ذهابي الى روسيا ان انتاول فيه السمك.فشكرتها على حسن تعاملها. وقالت لصديقها سيرغي :
رجاء قم بتوصيله الى سكنه

كان لديها سيارة مازدا حمراء فاوصلني بها سيرغي الى سكني .
خلال الرحلة إلى سكني، شاركني سيرغي ببعض قصص حياته
وكيف بدأت يلينا مشروعا الصغير, وصلت إلى سكني في تلك
الليلة وكنت ممتنا لكرم يلينا وصديقها سيرغي شاكرًا الله على هذه
الفرصة.

.....

بدأت يومي الأول في العمل في متجر المدخنات المنزلية، حيث
كنت أتعلم كيفية تحضير الأسماك والجبن وتنظيم المتجر ليبدو
بأبهى صورة والتعامل مع الزبائن. كان يومًا مليئًا بالتحديات
والتعلم، ولكنني شعرت بالراحة في جو محفز مع مساعدة يلينا
وسيرغي.

مع مرور الوقت، أصبحت جزءًا من مجتمع صغير في تلك القرية.
تعلمت ليس فقط كيفية العمل في المتجر، ولكن أيضًا العديد من
العادات والتقاليد المحلية وكنا نخرج معا للمناسبات العائلية
والاحتفالات. و كنت أتحدث مع الزبائن، وأتلم الروسية بسرعة
أكبر حيث ان اللغة العامة تختلف قليلا عن اللغة الصيغ الرسمية

التي نستخدمه في الجامعة، وكنت أشعر بأنني بدأت أفهم الحياة في هذا البلد البعيد.

في كل يوم كنت أشعر بالتقدم الذي أحرزته وبالتأثير الإيجابي الذي كان لدي على مشروع يلينا، لم يكن مجرد عمل اقوم به، بل كنت أيضًا جزءًا من تجربة إنسانية تفتح أمامي أفقًا جديدًا من التفاهم والتعايش الثقافي في غرب سيبيريا.

ومع مرور الزمن أصبحت أكثر من مجرد زميل عمل بل كانوا يعتبروني كفرد من العائلة يقدمون لي العديد من الهدايا والملابس الدافئة ليس اسرة يلنا فحسب بل حتى جيرانهم.

الانسانية ليس له حدود لا سياسية ولا دينية ولا عرقية فمن له انسانية ينظر الى الانسان بهيئته الانساني فقط .

وفي احد الايام وعند وصولي الى منزلهم في المساء لبدء العمل صعدت ودخلت الى المنزل لكي اقوم بتبديل ثيابي والبدء في العمل لآكن تفاجأت كانت الصالة في ظلام لا أكاد أرى شيء ظننت أن الطاقة الكهربائية قد قطعت عامة .

لآكن عندما نظرت الى الخارج كان الانوار مضيئة فتقدمت الى الصالة لكي اتفقد مفتاح الاضاءة فاذا بهم يفاجئونني محتفلين

بذكرى ميلادي واضعين العديد من الحلويات والفواكه على طاولة الطعام وكانوا في انتظاري فما كان علي الا وان احتفلت معهم وهذه كانت اول مرة في حياتي يحتفل بذكرى ميلاد.

رغم انني لا اهتم بالاحتفال بالميلاد , لكن هذا يعكس مقدار حبهم الشديد وتقديرهم. كما اذكر تلك الفنيلة التي اهدتها لي السيدة فالنتينا والدة يلينا وكانت لا تناديني بإسمي , فقد تقول لي ابني دائما.

ومن احد المواقف ايضا: كان صديقي سيرغي مولع بالتصوير يحب التقاط الصور والفيديوهات القصيرة.

وذات مرة قمنا بتسجيل مقطع فيديو قصير الفكرة كالتالي :

اني كنت واقف داخل المتجر فيدخل سيرغي وكأنه مشتري ويبدأ بالسؤال : مرحبا , اخبرني ما الجديد في المتجر لديك اليوم؟

فأجيبه : واقوم بوصف السلع وعن الاسعار واروج للمنتجات ككل البائعين, هذا جيد, وذاك ايضا, وهذا الافضل لك,

فيقوم فجأة بسؤالى قائلا: هل لديك تصريح عمل؟

فاقول له : عفوا انا لا أتحدث الروسية .

اي عندما يكون الحديث عن العمل اجيد الروسية واتحدث ولاكن
عندما يسال عن تصريح واذن عمل " وبما انني اجنبي " اقول له انا
لا اتحدث الروسية .

قمنا بتسجيل مقطع صغير بهذا السيناريو ولاكن عندما قام برفعه
على موقع التواصل الروسي " فكونتاكتي " قد وجد تفاعل مع
العديد من الروس وقد حصد المقطع أكثر من ثلاثة مليون ونصف
مشاهدة في خلال يومين حتى تم عرضه على قناة " تي ان تي "
الروسية ضمن المقاطع المضحكة لبائع من إفريقيا يعمل في احد
المتاجر في روسيا يتحدث الروسية بصورة جيدة عندما يكون
الحوار عن عمله. ولاكن عندما يسأل عن تصريح عمل يقول انه لا
يفهم اللغة الروسية

وفي اليوم التالي عندما ذهبت الى الكلية كانت المفاجأة عند دخولي
كل أصدقاء صفي يهتفون لي نجم * نجم * نجم , ولم اكن اعرف
حتى ماذا يجري

وكنيت أسأل ما الذي حدث ؟ ماذا يجري لكم اليوم ؟ لاكن لا أحد يرد
ظلوا يهتفون نجم نجم يظنون بانني على دراية.

حتى وان دخلنا القاعة الدراسية اخبرني احد اصدقائي بشأن تلك المقطع الذي انتشر في جميع انحاء روسيا.

هذا المقطع وما كسبته من شهرة جعل العديد حتى البعض من مدن مجاورة يأتو الى قرية " باتروشوفا " في تيومين حيث اعمل ليلتقوا بي, ويسئلوا عن تلك الحادثة , ماذا فعل معك ذلك المشتري الذي كان يسألك عن تصريح عمل ؟ وهل كان من رجال الشرطة ؟ فاقول لهم لا انه صديق مالك المتجر , وأنا قمنا بتسجيل المقطع لغرض كوميدي ليس الا.

وهكذا، بدأت حياة جديدة في تيومين، حيث تجتمع التحديات والأمل، وأنا أمضي في رحلتي الغريبة مع يلينا وسيرغي وسكان تلك القرية الودودة.

فقد كنت ممتناً للتواصل الإنساني الذي يتخطى حاجز اللون و الدين والثقافة واللغة والعرق.

الفصل الاخير

• شعب رحيم . والقوانين لا ترحم

إن الحياة في هذا العالم مختلف جدا , حيث يتقاطع فيها طيفان من الواقع والخيال وتتباين بين شعب رحيم ينبض بالانسانية , وقوانين لا تعرف الرحمة

ان القوانين في تلك الدولة التي يقطنها شعب يضرب بهم المثل في الانسانية والطيبة غريبة وقاسية الى حد بعيد والمصائب لا تأتي فرادا

لقد ظهرت نتيجة امتحان التيرم الاول وقد نجحت في كل المواد عدا مادتين , لقد استخفيت بهما عمدا بحجة انني وصلت متأخرا وضغوطات العمل و.... فضحك من هاتين المادتين فان لم تنجح فيهما الان فستقوم بمعاودة الامتحان عند نهاية العام الدراسي بعد التيرم الثاني في العطلة الصيفية ولم يكن لي ادنى فكرة عن تلك القرار القاضي , وكنت مستعد لبدء التيرم الثاني .

و في مساء تلك اليوم فاذا برسالة من ممثلة الصف على المجموعة تقول: كل من لديه رسوب في احد المواد فان اعادة الامتحان

سيكون بعد يومين ومن لم يجتاز الاعداد فسوف يواجه لجنة
تحكيمية "

فكنت متعجب من هذه القوانين القريية, ولماذا فقط بعد يومين من
ظهور النتيجة ؟ ثم ما هي اللجنة التحكيمية هذه ؟

على كل قررت ان اقوم بالتركيز الان على احدى المادتين على
الرغم من ان يومان لم تكن كافية لتغطية مادة كاملة , فاتصلت ب
يلينا موضحا لها الامر وانني سوف اكون غائب عن العمل لبضع
ايام ,

فقلت لي حسنا لا مشكلة متمنيا لي التوفيق .

فقلت باجراء اعادة لاحدى المادتين, اما المادة الاخرى فلم اذهب
لاعادة الامتحان حتى لانني لم اكن جاهز انذاك .

و في نفس اليوم ظهرت نتيجة , المادة التي قمت باداء امتحانها
وقد كنت ناجحا فيها وتبقت لي مادة واحدة.

وفي الاسبوع التالي لقد تم دعوتي الى اللجنة التحكيمية لها

اللجنة التحكيمية عبارة عن امتحان شفهي مع وجود ثلاثة من
الدكاترة يسئلونك عن المادة اسئلة من وحدات مختلفة ويجب

الطالب شفهي فان اصاب وضع له درجة السؤال وان لم يصيب يفقد درجة السؤال .

فقد كانت هذه ضربة قاضية وكان جوهر الأمور يختلط بالتوتر. حيث ثلاثة من الدكاترة كانوا موجودين، يمحرون بأسئلة من شتى الوحدات ولم يكن تحضيري كافية لتلك المادة وقد احسست بغيبة امل في هذه اللجنة التحكيمية واني لم اكن مستعد لها من الاساس, وحينما انتهو من الاسئلة خرجت عائدا الى العمل فكان هناك عطلة لفترة اسبوع على ان تبدا التيرم الثاني الاسبوع المقبل.

توجهت الى منزل يلينا مرحبين بي من بعد غياب دام لاكثر من اسبوع قائلة لي ان العديد من المشترين سألوا عني وعن غيابي طانيين بانني عدت الى ديارى وكأن الامر تنبأ, فكانت تجيبهم: لا انه سيأتي مجددا لقد اخذ عطلة بسبب امتحاناته .

وبعد مرور ثلاثة ايام تلقيت رسالة من الجامعة مطالبا بدفع رسوم التيرم الثاني والسكن معا قبل بدء التيرم الثاني, وكانت بحوزتي ما يعادل نصف المبلغ فقط مما ادخرته في الفترات السابقة فذهبت لدفعها

فقال لي المحاسبة انه لا يمكن تجزئة رسوم التيرم . لائن بامكانك دفع رسوم الدراسة الآن اما رسوم السكن بامكانك دفعة لاحقا,

فخرجت محبطا حاملا نقودي واعلم انه لا يمكنني ان اطلب من اسرتي لان في تلك الفترة لا يمكن الوصول اليهم بسبب قطع شبكات الاتصالات في جميع انحاء السودان, و كان السودان حينها يمر بمرحلة انتفاضة شعبية مطالبين بتغيير النظام الحاكم انذاك وتم ايقاف جميع المرافق والخدمات العامة حتى المطارات اغلقت وتظاهر في جميع انحاء السودان .

فعدت الى السكن يرافقني الاحباط والشعور بالهم عن الخطوة التالية وكانت اكثر ما غشيت انذاك ان اواجه ما واجهته في جامعة موسكو الحكومية كانت أسوء تجربة لي انذاك. واخذت اسئل نفسي لماذا لم يتم استلام جزء من المبلغ مني و على ان اقوم بدفع النصف الاخر فيما بعد ؟ لماذا هذه القوانين يرى الا الطالب الاجنبي كانه عملة ذهبية يتلالا غير مدركين لما يمر به ؟

فاستجمعت قوتي وتظاهرت بانني لا أبالى وعدت الى العمل.

وبينما كنت اعمل لاحظت يلينا بانني لست طبيعي كما كنت في السابق على الرغم من انني كنت محاولا اخفاء تلك الشعور , فسالنتي ماذا بك اليوم حبيب؟ تبدو لست على ما يرام , اخبرني.

قلت لها: لا انا بخير كل شيء طبيعي . فقالت هل اسرتك بخير ام ما ظلت لم تستطيع التواصل معهم ؟

فقلت لها : الى الان لا يوجد اتصال , بعدها اتى سيرغي وكان يحب الحديث والقاء العديد من القصص وما مر به في يومه الي. لانه لاحظ انني كنت قليل التفاعل فقال لي اخبرني ماذا بك ؟ لماذا انت اليوم هكذا؟ ماذا حدث لك في المدينة ؟ فاخبرته ما جرى معي في الجامعة .

فتأثر من سماعي مخبرا يلينا بذلك .

قالت يلينا ألم اقل لك انت اليوم لست بخير؟ , فقالت وكم المبلغ الذي معك ؟

أخبرتها اربعين الف روبل .

فسالتني وكم رسوم الجامعة ؟

فقلت لها : سبعين الف روبل. ستين الف رسوم الدراسة و عشرة الف للسكن .

فقالت لا تغلق سوف نساعدك بما نستطيع نحن معك.

فقلت لها شكرا اعلم ذلك , لادن في نفسي كنت اقول هذا مبلغ كبير والجامعة لا تقبل تجزئته لاكمني لم اكن متفاجئ كثيرا , لقد حصل معي من قبل في جامعة موسكو الحكومية التقنية

وفي المساء بينما جلسنا للعشاء بعد اغلاق المتجر كانت كل الاسرة على الطاولة " يلينا واختها فيرا ووالدتهما الانسة فالينتيننا , وبنتنا يلينا وهما فيكتوريا ونينا وبننت فيرا ملينا "

فقالتي لي يلينا : هنالك العديد من الغرف في منزلنا لماذا لم تأتي و تسكن معنا , يمكنك ترك السكن الجامعي و بهذا تكون قد وفرت رسوم السكن.

وتابعت قائلا لقد وضعت مبلغ عشرين الف روبل في حسابك , يمكنك دفع رسوم الدراسة غدا اذا ذهبت الى الجامعة .

عندها عجزت الابدديات عن تعبير الامتنان ولم اجد سوى عبارة شكرا جزيلا

تعجبت من هذه الحياة وقلت الى متى تستمر في امتحاني هكذا ؟ ليت هذا اخر التحديات ليت .

وفي اليوم التالي ذهبت الى الجامعة ودفعت مبلغ الدراسة وشعرت بنصر كبير على تلك التحدي

ثم اخذتني يلينا بسيارتها من السكن حاملا حقائبي وانتقلت الى منزلهم فخصصت لي احد الغرف المهيأة لسكن طالب , كانت الغرفة تحتوي على رفوف للكتب ودولاب للملابس وسرير وكرسي ودرج

على امتداد النافذة مع كمبيوتر جاهز للاستعمال , قائلة لي هذه غرفتك بما فيها , لا علاقة لها بالعمل.

سأظل دائما ابدا اشكر الله ثم عائلة يلينا على كل لحظة سعيدة او مساعدة قدموها اثناء وجودي في مدينة تيومين.

مضت ايام و ظننت بان المصائب قد اختفت عن طريقي وتلاشت ,
لاكن المفاجئة الكبرى لم تبدأ بعد

مضت اسابيع وبدأت التيرم الثاني اذهب في الصباح الى الجامعة
عائد المساء الى العمل وبعد اغلاق المتجر في الساعة التاسعة اقوم
ببعض المراجعة وانام لبدة يوم جديد وهكذا واحيانا لا اعمل بعد
الجامعة عندما يكون لدي العديد من التكاليف و كانت من اجمل الايام
التي عشتها في روسيا , كنت صافي الذهن على الرغم من انني لم
اتمكن من الاتصال باسرتي لكي اسمع اخبارهم لعدة شهور الا انني
كنت في وضع جيد بسبب طيبة المعاملة وتظليل التحديات كل
تحدياتي الى هذه اللحظة .

وفي نهاية شهري الاول من التيرم الثاني في يوم من الايام استدعتني
المشرفة الى مكتب عميد الكلية , لا ادري ما السبب

فذهبت الى مكتبه وكانت معي المشرفة ايضا , فنظر الي العميد قائلاً :
لماذا انت هنا ؟

قلت في نفسي اي نوع من المزحة هذه , ثم اجبته لقد استدعنتي
المشرفة من الفصل وانني الطالب الوحيد من افريقيا في تلك الكلية
انذاك ثم التفت الى المشرفة لكي تجيب هي لماذا استدعنتي اذا ,
فقال لي العميد: لماذا انت هنا في الكلية عموماً ؟

فاعجبت وقلت له ماذا تقصد ؟

فقال لقد تم فصلك منذ اكثر من شهر بسبب انك لم تجتاز اللجنة
التحكيمية لاحد المواد, وان من قوانين الجامعة من لما يجتاز احدى
المواد من اي تيرم سيتم فصله .

فقلت متعجباً, ومنذ متى يفصل الطالب اذا لم ينجح في احد المواد ؟
اتمازحني؟

فرد قائلاً : لسوء الحظ انا لا امزح, الم يخبرك احد طول هذه الفترة
بانه قد تم فصلك ؟

لم اجب عليه وخرجت غير مصدق وتوجهت الى الصف وجلست
واضعاراسي على الدرج وعند انتهاء تلك المحاضرة خرجت حاملاً
شنطتي متجها الى الفرع الرئيسي للجامعة لمقابلة إدارة الجامعة ,

وعند وصولي قابلت السكرتيرة فقالت لي انا المدير قد خرج واخبرتني بان اكتب سبب مقابلي واعطيها وان انتي غدا عند الظهر

,

فكتبت سبب مقابلي بانه قد تم فصلي من الكلية بسبب لم اجتاز امتحان مادة في التيرم الاول .

وفي اليوم التالي قابلت مدير الجامعة واخبرته قائلا : لقد تلقيت هذه الرسالة قبل اكثر من شهر بان علي دفع رسوم التيرم الثاني والسكن وان علي اكمال الدفع قبل بدء التيرم الثاني ودفعته وهذا ايصالي وامضيت شهر كاملا ادرس في التيرم الثاني , وفجأة في الامس يخبرني عميد الكلية بانه قد تم فصلي منز شهر بسبب عدم النجاح في مادة من مواد التيرم الاول , اريد توضيحا من فضلك ,

فاجرى مكالمة بادارة الكلية وتحدثو لفترة طويلة وفي الاخر وضع الهاتف وظهر في وجهه علامات احباط وياس فعرفت انه لم يغير شيء لاكم ارادت ان اسمع ما يقوله لي ,

فتحدث قائلا: الامر خرج من ايدينا لقد طلبت منهم اعادة النظر وان يعاد لك الامتحان مرة اخرة لاكمه اخبرني بان اسمك قد تم رفعه الى وزارة التعليم العالي بانه قد تم فصلك ولم نستطيع تغيير شيء بعد الان , فاذا اخبرتني بهذا مبكرا قبل ذلك لتداركنا الامر ,

قلت له لقد اخبروني في الامس فقط بطريقة غريبة ' حيث دعوني من الفصل وعندما التقيت بالعميد قال لي ماذا أفعل في الكلية , لم اكن ادري ماذا يعني بسئاله , ثم قال لي لقد تم فصلك من قبل شهر .

وخرجت متوجها الى كليتي لمقابلة العميد , فقلت له لماذا لم تخبروني من قبل حتى على الاقل لا ادفع رسوم التيرم الثاني طالما فصلت قبل بدء التيرم الثاني ؟ لماذا لم يخبرني احد وقد صار لي اكثر من شهر وانا مداوم على الدروس ؟

رد قائلا : هذه الاسئلة لم يغير شيء الان , واخرج ورقة قائلا عليك بالامضاء هنا باننا قد اخبرناك الان

فخرجت للمرة الاخيرة من تلك الجامعة . هذه المرة لم اتفاجأ كثيرا وكان شيء القى على نفسي جعلتني اتقبل هذا القرار الظالم واتجهت الى المنزل وواصلت عملي وكان لم يحدث , وفي نفس المساء اتصلت علي رقم غريب فاستقبلته قائلا : مرحبا , من معي ؟

ردت قائلا مساء الخير معك ارينا من جامعة تيومين محامية في قسم الهجرة وشؤون الطلاب الدوليين

فقلت : مساء الخير

قالت: لقد تم فصلك واخبارك الامس صحيح ؟

قلت نعم

قالت : لديك ثلاثة ايام لمغادرة الاراضي الروسية والا سوف يتم اعتقالك وترحيلك من قبل وزارة الشؤون الداخلية ؟

قلت كيف وحتى الفيزا التي معي صالحة لاكثر من اربعة شهر ؟

قالت لديك ثلاثة ايام منذ الان , الفيزا سيتم الغاء صلاحيتها . وقطعت الاتصال

لم اكن اصدق ما يحدث , ولم افكر حتى في ان افعل اي شيء من بعد ما سمعت , وبقيت اعمل في المتجر وفي اليوم التالي بدأت العمل منذ الصباح.

فسالتني يلينا: لماذا لم تذهب الى الجامعة اليوم؟

قلت لها لا اريد الذهاب بعد الان , فاعتبرتني امزح ولم تسأل بعد وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتب الهجرة لارى ماذا قد قرر بشأنى فارسلتني ضابطة الهجرة برفقة احد رجال الشرطة الى نزل الذين يدخلون الى روسيا بطرق غير شرعية او الذين قد انتهت صلاحية اقامتهم في روسيا ولم يغادروا الاراضي الروسية .

وبما ان المطارات لا يعمل في السودان انذاك ولا يوجد رحلات الى السودان , فبقيت حبيسا لفترة تزيد عن شهر وراء القضبان في بلدة اجنبية

كان معظم الاشخاص المتواجدون في تلك النزل من دول الاتحاد السوفيتي سابقا " دول جنوب روسيا " يأتون من للعمل في روسيا عبر الطرق البرية فيدخلون من غير فيز او اوراق ثبوتية, وعندما يتم القبض عليهم يوضعون تحت الإقامة الجبرية الى ان يتحققو من بلدانهم ويرسلون

كان يلينا وسيرغي يأتون لرؤيتي باستمرار باذلين كل الجهد لاجراحي والغاء قرار الترحيل كما قد قاموا بمراسلة السفارة السودانية في موسكو ولاكن لا يوجد ردا .

أخيرا قدمت يلينا التماس الى المحكمة العليا في المقاطعة مطالبا اجراحي بما ان لدي فيزا سارية وكان القرار مفاجيء بامر مغادرة الاراضي الروسية في خلال ثلاثة ايام كما ان الاوضاع في بلدي لم يسمح بدخول الطائرات فلا يوجد رحلات وهذا كان السبب الرئيسي , وذكرت في خطابها بانها على استعداد في تقديم كفالة او اي مساعدة مادية وسكن دائم لاكمال دراستي والعمل في روسيا متعهدة بذلك ولاكن بلا جدوى , ان القوانين في روسيا لا مجال للتفاوض فيها

مر على وجودي في النزل اسبوعين بلا حاسوب او هاتف او اي جهاز الكتروني لمعرفة ما يجري في الخارج. وفي كل يوم لدينا نصف ساعة للتعرض الى الشمس من وراء سياج حديدي هذه كانت اطول ايام عشتها على الاطلاق ولولا وجود التلفاز في الغرفة ربما تحولت الى وحش

كان معي بنفس الغرفة شاب من دولة لاتفيا امه روسية ووالده من لاتفيا انفصلا وهو صغير فعادت والدته الى روسيا وبقي مع والده في لاتفيا وعندما كبر واكمل دراسته الجامعية اتى الى روسيا لزيارة والدته وبدأ العمل في مجال البناء وكان متخصص في بناء البيوت الخشبية. فقد تحصل على فيزا لزيارة والدته وعندما وجد فرصة عمل بقي يعمل دون اقامة جديدة لمدة تزيد عن عشرة شهور وذات يوم تم القبض عليه في اثناء التحقيق من ثبوتيات العاملين في تلك

الشركة وتم حبسه وترحيله ايضا مع منعه من دخول روسيا لفترة
ثلاث سنوات على الرغم من ان والدته روسية.

فقد كان يتعجب من قوة علاقتي بتلك العائلة الروسية حيث كانو
يزورونني في كل اسبوع مرتين او اكثر ويحضرون معهم انواع
مختلفة من المأكولات التي كنت افضلها اثناء تواجدي معهم وفواكه
فكنا الاثنان نتقاسم في تناولها وقبل ان تقلص تأتي لنا يلينا بالمزيدو.
فكان يقول لي هل انت هنا للترحيل ام للتسمين , عجا ان والدتي بنفس
المدينة لাকنها انت مرتان فقط لزيارتي.

وكل يوم امضيه في تلك النزل احس بان حلمي ان ارى نفسي مهندس
يطير بعيد وبعيد ولم يبقى لي سوى الاسف على ما انفقته في كل هذه
الفترة ليتني لم افكر قط بالدراسة في الخارج, فقط سرقت اغلى ايام
عمري ودمر حلمي وذات مرة احضرت لي يلينا مفكرة وبدأت ادون
رحلتي والمغريات التي قدمها لي حتي يبعدي اكثر ولم انتازل من
اول لحظة سقوط عندما عجزت عن تسديد رسوم الدراسة كاملة في
جامعة موسكو الحكومية التقنية بل بقيت أوصل السعي دون جدوى،
كمن يحاول أن يملأ شباكه بالرياح

صدق من قال " إذا اخترت القطار الخطأ، فكن حازماً وانزل عند أول محطة، فكلما طالت المسافة، زادت تكلفة العودة "

وفي احد الايام بعد مضي شهر وعشرة ايام من بقائي في نزل الاقامة الجبرية اتى الى الشرطي المناوب مع الضابط المسؤول بعد صلاة الفجر تقريبا الساعة الخامسة صباحا وفتحو باب الغرفة لم اكن نائم فقط صليت الفجر لتوي

فقال لي : لديك عشر دقيقة اجهز ورافقنا للأسفل

لم يكن معي سوى مصحف ومذكرة وخيارين في الغرفة فاخذته ونزلت الى الدور الارضي حيث الاستقبال, فتم ارجاع هاتفي الذي اخذوه من اول يوم عند وصولي وخرجنا الى البوابة

فوجدت يلينا وسيرغي كانوا منتظرين في الخارج ومعهم اثنين من رجال الشرطة بزي ملكي

فأقبل نحوي سيرغي ويلينا و بتحية حميمة، سلمت عليهم لم يكن شوقا لانهما كل يوم واخر يأتون لزيارتي ولاكن هذه المرة تحية من نوع مختلف

وقد احضرو معهم شنطتي و كل مستنداتي وحاسوبي وقالت يلينا : فقد تم فتح مطار الخرطوم الدولي واليوم سيرسلونك الى السودان كل

محاولاتنا لم تجدي شيئاً نحن متأسفان جداً يا صديقي ان القرارات لا يتم اعادة النظر فيها بعد ان تتخذ فقد اتصلوا بي الامس اخبروني بانه سوف يتم ترحيلك اليوم في الفجر لذلك اتينا لنحضر لك اشياك وما قد تحتاج اليه

فقلت: لاكنني لم يكن لدي اي فكرة فقط قبل ربع ساعة جاء الي الحارس المناوب مع الضابط ودعوني والا لم اكن اعرف.

وعندما اردت ان أخذ شنتطي قال لي احد افراد الشرطة لم يسمح لك سوى أخذ شنطة الظهر لم يكن لدي رغبة في شيء ولم يعد يهمني شيء , كان سيرغي ويليينا يتجادلون معهما كيف ترسلون الصبي الى بلاده ولم تسمحوا له بأخذ حتى اغراضه ؟ ما الجرم الذي ارتكبه حتي يحبس شهر وعشر ايام وفي الاخر ترفضوا ان ياخذ معه خياراته ؟ منذ متى والرسوب في مادة دراسية تعتبر جريمة ؟

فيجب الشرطي بكل اسف : حتى اننا متفاجئان من حالته وكيف صار الامر معه لاكن نحن فقط ننفذ وحتى التذكرة المخصصة له لم تتضمن اي وزن فلا يمكننا ان نفعل شيء .

قالت يليينا: اذا التذكرة لم تتضمن الوزن فيمكننا ان نشترى له وزن فقط شنطة خياراته لم تتجاوز العشرة كيلوجرام حتى ,

فيرد الشرطي : لا يسمح نحن لدينا اوامر فقط نقوم بالتنفيذ رجاءا
اعزرننا. والآن فلنتوجه إلى المطار ، الوقت يداهما

ففتحت الشنطة الكبيرة اخذت شهاداتي ووضعتها في داخل الشنطة
الصغيرة واخذت معي فنيلة كانت هدية من والدة يلينا في ذكرى
ميلادي كما اخترت بنطال وشال اهداهما لي سيرغي واخذوا معهما
شنطتي الكبيرة وقالت يلينا: وهذه علامة اخرى بأنك سوف تعود يوما
ما.

وودعتهما وتوجهت مع الشرطيين بسيارتهما الملكية الى المطار
فكنت انظر بنافذة السيارة الخلفية الى شوارع مدينة تيومين نظرات
وداع وشوق فقد غبت عنه لفترة اربعين يوما لم ارى حتى صور له
والان اودعه دون تهئية وكان السائق يقود سريعا وبطرق مختصرة
للوصول الى المطار فسرعان ما وصلنا الى مطار روشينا او
دميتري مندليف في تيومين وحلقنا الى مطار " شريميتوفو " في
موسكو برفقة الشرطيين ثم أكملت رحلتي مرورا بتركيا ثم الى
السودان

حاملا معي شهادة لغة روسية لا شهادة بكالوريوس هندسة , ثلاثة سنة
من عمري , انفقت ما يكفي اسرتي لاكثر من ثلاثة سنة.

لمعرفة ما حدث بعد ارجو منك قراءة قصتي ما وراء الحدود الجزء
الثاني

النهاية